تاريخ الأدب العربى

د. عبد الحكيم العبد

صدر الإسلام وعهد بنى أمية
أكثر من منظور ونماذج من النثر والشعر

تاريخ الأدب العربى

صدر الإسلام وعهد بنى أمية

(أكثر من منظور ونماذج من النثر والشعر)

الدكتور

عبد الحكيم العبد

مركز اللغات والترجمة – أكاديمية الفنون

٢٠٠٦م –١٤٢٧ هـ

فهرس

معارف الجاهليين وعمل الروح الإسلامية

- معارف الجاهليين وفنونهم (ربط)
- عمل الروح الإسلامية

معارف الجاهليين وفنونهم (ربط)

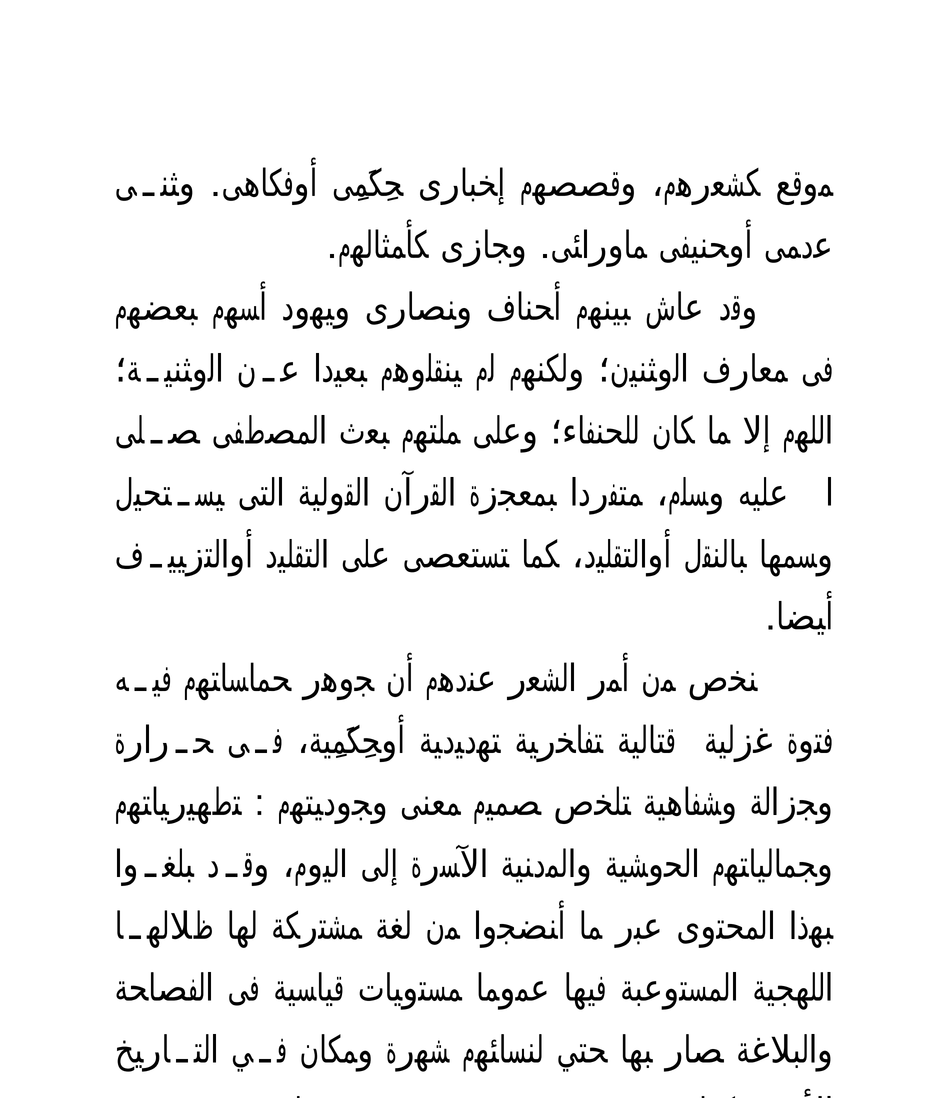
كانت للعرب في العصر المسـمي معنويـا بالعصـر الجاهلي مقومات حياة ولغة ناضجة ومعارف وآداب شفاهية، كما كان بينهم – رغم غلبة الذاكرة – كاتبون قـارئون فـى أغراض عامة وخاصة.

تكونت لغتهم ونضجت خلال فترة قياسية، فى زهـاء قرن ونصف أوقرنين، انتخابا للأصلح من عـدة اللهجـات المحلية واللغيات المنقرضة أوشبه المنقرضة من المجموعـة السامية، تحت تضاغطهم المعيشى والحياتى والأدبـى فـى المربع من بواديهم وهضابهم وفى مدنهم وأسواقهم، وحـول التجارة والحروب، وتحت تأثير احتكاكهم بالشعوب المجاورة خلال ترحالهم التجارى والتسفار للبلاد المحيطـة، أوبحكـم الارتباط الوقائى أوالتبعى السياسى لبعضهم بفارس وروما.

نضج لغوى يكاد يكون قياسيا حقا؛ ولكنه غير مستغن أوغير قاصر عن تعريب جديد فى اللفظ أوهضم طارئ فى العلم، وغير مناقض لألوانهم اللهجية.

بهذه اللغة أوفيها حصل الجاهليون في الواقع طـبعهم المميز وغير قليل من شئون الطبيعـة والمعـاش والسـلوك أوالقيم؛ وقوى من ذاكرتهم فيها أيضا على مـا يبدوطلاقـة بيئتهم وانفساحها وتضاغطهم الحياتى المذكور؛ وربما بفضل من الضيق النسبى لمجال استعمال الكتابة، مع ما ثبت مـن حصولها وتعدد أغراضها.

مـن ثـم كـان لهـم، مـع فطـرتهم، عـارفوهم وحافظوذاكرتهم ممن يعلمون الآثار وأيام العرب (علم القيافة والتاريخ الخاص)، والأنساب (العرافون). كذلك كـان لهـم حكماؤهم القبليون ومن ارتقت حكمته وعمـت غيـر قبيلـة أوضاقت واختلطت بالطب والفراسة والكهانة وحتى الخرافة التى أحلوها محلا أدبيا وحسب فى الغالب؛ وكذا كـان لهـم تميزهم وبصرهم الفطري المدرب بإبداع الشعر والقصـص الحكوي والأمثال والطرائف والأساطير (المتفنن بها)؛ فضلا عن الألغاز والحِكَم. وقد عد الشعر ديـوانهم الأول لغلبتـه وصنعته وحفظه للمشترك من معجـم لسـانهم؛ ومـن ثـم لوجدانهم كله وحتى لمعارفهم ذاتها، ولكونـه كـان لسـان إعلامهم بمفاخرهم ومواقفهم الاعتدادية والسياسـية. نثـرهم



موقع كشعرهم، وقصصهم إخبارى حِكَمِى أوفكاهى. وثنـى عدمى أوحنيفى ماورائى. وجازى كأمثالهم.

وقد عاش بينهم أحناف ونصارى ويهود أسهم بعضهم فى معارف الوثنين؛ ولكنهم لم ينقلوهم بعيدا عـن الوثنيـة؛ اللهم إلا ما كان للحنفاء؛ وعلى ملتهم بعث المصطفى صـلى ا عليه وسلم، متفردا بمعجزة القرآن القولية التى يسـتحيل وسمها بالنقل أوالتقليد، كما تستعصى على التقليد أوالتزييـف أيضا.

نخص من أمر الشعر عندهم أن جوهر حماساتهم فيـه فتوة غزلية قتالية تفاخرية تهديدية أوحِكَمِية، فـى حـرارة وجزالة وشفاهية تلخص صميم معنى وجوديتهم : تطهيرياتهم وجمالياتهم الحوشية والمدنية الآسرة إلى اليوم، وقـد بلغـوا بهذا المحتوى عبر ما أنضجوا من لغة مشتركة لها ظلالهـا اللهجية المستوعبة فيها عموما مستويات قياسية فى الفصاحة والبلاغة صار بها حتي لنسائهم شهرة ومكان فـي التـاريخ الأدبي؛ كما هومعروف من مشورة بعض نسائهم ومن نقدهن للشعر والحكومة بين الشعراء شأن أم جنـدب بـين امـرئ القيس زوجها وبين منافس له؛ ومن حكم النابغة بين الشعراء

في أسواق العرب التي كانت تضم مـا يشـبه مهرجانـات لمطولات هذا الفن الأدبي الذي عد ديـوانهم بحـق يحـوى غنائياتهم وحكمهم وخلاصات تجاربهم وعلومهم جميعا. كما ذكرنا. وقد كثر إبداعهم فيه ولم يحرموا تنوعا فيـه رغـم إيقاعيتهم الملحوظة فى عدد من البحور والأغـراض الفنيـة تباينوا فى كل هذا طبقـات وكـان لهـم فيـه شـواعرهم المشهورات من مثل جليلة بنت مرة والخنساء وقتيلـة بنـت الحارث وغيرهن، حتى بلغن فى درس حديث (٧٠) شاعرة فى صدر النبوة فى مقابل نحو(٣٠٠) شاعر أحصوا جميعـا جيشا قوليا للإسلام فى حربه ضد شعراء قـريش الـوثنيين. بكل هاتيك المقومات عد العرب بكـل أطيـافهم مرشـحين طبيعيين لأى من احتمالين: الانقراض والفناء كما حدث لأمم منهم قبلهم؛ أوقيادة الدنيا بأمر غير عادى؛ وهذا مـا حـدث بالإسلام أوالقرآن.

عمل الروح الإسلامية

(من الجاهلية إلى الإسلام – لغة وأمة كاتبة)(جمعة عوامل النقلة من الجاهلية إلى التأليف فى الإسلام: استعداد مواتٍ – قوة إقناعية – استدراك نقص – ظاهرة استثنائية – اللغة العربية فى المرحلة بين بروكلمان وبيننا).

الاستعداد المواتى بحسب ما بينا فى فِقرة التخلص السابقة: هوجماع قدرات نفسية تكاد تكون قتالية بالكلام المنمق أوالاقتصاد والقتال الفعلى: دفاعا وهجوما. حربا منظمة أوكر عصابات وفراً؛ بعد تمرسهم فى جملة تاريخهم وجغرافيتهم بسياسات أمن القبيلة والأحلاف فى الحِل والجوار والطرق. بحروب ذات البين، ووضعية التحاجز فى البوادى ومع الفرس والروم؛ ومنها ما حمل خصائص حرب اللص الشريف لدى من يسمون الأغربة أوالصعاليك.

هذا الاستعداد المواتى دينته (أدلجته من الأيديولوجية إذا جاز التعبير) القوة الإقناعية للدين الجديد والبلاغة العالية للقرآن الكريم : بلاغة ذات نظْم توقيفى متحد (معجِز)؛ فضلا عن الفصاحة النبوية واللسن العربى المتاح. والقدوة

الماثلة فى الـنـبى وصحابته؛ مما ضمن للعرب وهم الأقل عددا وعتادا أن يستعيضـوا بأيـديولوجيتهم الجديـدة عـن النقصين ويحققوا النصر على أكبر إمبراطورينين فى العـالم القديم ويغربوا الشمس عنهما فى أقل من قرن من الزمان.

من ثم أخذ علم العرب بالكتابة فى اسـتدراك نقـائص الخِطاطة الأبجدية التى لابد من الاعتراف بأنها استدركت فى الإسلام، كما استدرك اللحـن ومـا إلـى ذلـك بالتـدوين الموضوعى المنظم، على ما سيأتى؛ ومن ثم اطرد العلم فى سائر العلوم فى النموبفضل دعوة الإسلام : قرآنـا وسـنة، وسرعان ما صار للكتابة مايشبه الوزارة فيما سمى "ديـوان الرسائل"فى عهد الرسول، تلاه؛ خاصة فـى عهـد الخلفـاء الراشدين، إنشاء دواوين للخراج والجنـد علـى مسـتويات شتى[1]، مستفيدين من خبرات الأمم الأخرى ومن العـاملين الأصليين فيها من غير المسلمين، مع تعريب اللغة فيما لـم

---

[1] - محمود السمرة وخالد الكركى / المصادر الأدبية وطريقة البحـث فى اللغة والأدب، ط الكليـات المتوسـطة، مسـقط ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص ١١-٢١

-+ عرضنا/ بصحيفة عمان، ٢٧/ ٢/ ١٩٨٩م

يكن بالعربية فى الأمصار كفارس ومصر وخراسان؛ كمـا ساعد على ازدهار الكتابة معرفة البـردى والقبـاطى مـن مصر؛ كما عرفت صناعة الورق الصينى بعد انتصار زيـاد بن صالح على حاكم فرغانة سنة ١٣٣هـ.

ويمكن أن يقال : إن التقدم فـى مضـمارى الكتابـة والتدوين فى هذه المرحلة كان ألزم ما يكون لتدوين القرآن (الظاهرة القرآنية) والسـنة والعهـود والرسـائل النبويـة والخلفائية اللغوية، متضمنة العلم والأدب والتشريع والتنظير بالضرورة. وبغير استثناء القرآن الكـريم وقـدره اللغـوى والبلاغى والقيمى الذى يعز على التقييم حقا، وبغير الفصاحة النبوية والتراسل اللغوى والاجتماعى والدينى والسياسى فـى صدر لإسلام والعصرلأموى فإنه قد يغر البعض ظاهر رأى بروكلمان فى العربية وأدبها فى هذه الفترة؛ وإن وافقناه فـى رأيه الأفضل فيهما فى العصر العباسى أومعظمه بعد. قـال دون تمييز فيما قبل العصر العباسى:

كانت "لغة العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام والدولة الأموية لغة محلية خاصة ككثير غيرها من لغات العالم التى اختصت كل منها بجنس أوقبيل فى ذلك العهد. وهى حقا قـد

كان لها أدب سرى وبيان طلى وفصاحة وبلاغة؛ ولكن ذلك لم يعد أن يكون لونة من الأدب الخاص الذى لا يكاد يتجاوز فن القول وصناعة البيان". [٢]

وكما سنرى فى التأريخ للأدب فى العصـر العباسـى سيتغير رأى بروكلمان هذا إلى حد كبير؛ وكما ألمحنا.

والحقيقة أنه لما نزل القرآن الكريم وتوالت تعاليم النبي ومعايشته للمسلمين وتجديده رسالات التوحيـد الإبراهيميـة توافرت للعرب بالقرآن وبالسنة الممحصـة ينـابيع حكمـة جامعة لأصول في المنهج والعلم والذوق والأخلاق والسياسة والمعاملات والعبادات، حكمت كل أوأغلب ما توارد أونقـل أواستحدث من علوم وفنون وتقنيات فى أمة قارئة كاتبة فـى الصدر الإسلامى والعصر الأموى نفسه؛ إذعملـت الـروح الإسلامية السمحة عملها في إبداع العربي الأصلي والعربـي الجديد، ولحق بتبريزهم فى الشعر والخطابة وفـى تـدوينهم

---

[٢] - من كلمة المترجم د. عبد الحليم النجـار لكتـاب / تـاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمـان، ط٢، دار المعـارف بمصـر، سـنة ١٩٦٨م، ص ى

- وراجع رسالتنا الثانية/(الاتجاه التاريخى) ص ٣٦٤-٣٦٦

للدوواوين الأدبية والإدارية (الوزارات بلغة اليوم) حضـور ملموس لتقنيات الكتابة والغناء والموسيقى وبعـض تقنيـات المعمار والبحر والحرب. ومنه ما بدأ مستعارا اصطنع بذكاء وسرعان ما خطا به العصر الأموى، والعباسى الذى بعـده خطا فساحا أخرى أحلت الحضارة العربية المكانة الأولـى فى زمانها كما تلمحنا وكما سيتبع. متسـمة بالأصـالة فـي العربية بصفة عامة: رواية ارتبطت بالتدوين، وتدوينا تجاوز المداول المؤسسى الحكومى(الإدارى الأصيل والمعرب) إلى دلالته كـوجادة؛ أى كـُتراث مكتوب فى صحف فمصاحف وكتب "فى موضوع معين"؛ فى مقابلة مشرفة للأمية والنقوش والشفاهية وكتابية اليهودية والمسيحية؛ وجادة احتفاء منهجى بالدينى والعلمى والعملى والجمالى والمترجم، متسما بالرشد والسماحة؛ مما حول الأمة كما يقول شوقى ضيف إلى "أمـة كاتبة" تصـنع مصـنفات وتضـيف.." بعـض المعـارف الأجنبية"[3].

---

[3] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص٤٥١

الفصل الأول

العلوم النظرية والعملية
التأليف عند المسلمين رواية ودراية (وجادة)

- دين ودنيا: تصنيف وتحليل وجدولة
- العلوم العملية: اللغوية والحِرْفية
- علوم دين ودنيا: تصنيف وتحليل وجدولة
- دين ودنيا على وجه الإجمال - العلوم العربية لدى التحليل
- جدولة العلوم العربية/ الإسلامية

علوم دين ودنيا على وجه الإجمال

مع ما سبق بيانه من روح جديدة سـرت بالإسـلام؛ لكون القرآن والحديث نبعي حكمة جامعة تجريدية وعمليـة: أى دينية ودنيوية على عين رسول؛ عمـد المسـلمون إلـي استخراج الشريعة منهما؛ فقوموا بهما سلوكهم وسطيا نظافيا، ونظموا علي هديهما معاملاتهم: احتكاما يخالطه وقد يشْـكل معه وضعيات حكمهم الراشد حينـا والقسـرى أوالانقيـادى أوالانقلابى أحيانا؛ وبيعا وشراء ومزارعـة وزكـاة أمـوال للتكافل، وتحرير رقاب وتسامحا دينيا توحيديا؛ كما محوا من أميتهم، وتبينوا معالم شرعهم أودستورهم وأخوتهم الإنسـانية الجمعية؛ ثمة اندفعوا – إلا خلال عثرات بعيد موت الرسول - بالعلم المعتبر فريضة علي كل مسلم ومسلمة[٤] وبالجهـاد المعتبر أكبره السعي المنـتج والحيـاة الفاضـلة والتـأليف المحتسِب في نافع كل علم وفن. من هنا أجمل مكتمل بنيـة

---

٤ - طبيعة الإسلام مع العلم بمقتضي أصوله في مؤلف محمد عبده / الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، قرين ه ٢٣ بكتابنـا/ فـي محاولات نقد القرآن وترجمته في العصر الحديث.

التصنيف عند المسلمين عبـر العصـرين الصدرإسـلامى الأموى والعباسى أومنظومته، صنوفا علي النحوالتالي:

- صنف علوم الدين النظرية والعملية : تفسير القـرآن، وتحقيق الحديث،وعبادات ومعاملات وأصـول الـدين وأصول الفقه والشريعة.
- صنف علوم اللغة: خطها ونحوها ومفرداتها أومعاجمها وأصول جمعها.
- صنف التأريخ وما يتصل بـه مـن أنسـاب وسـيرة وحوادث السنين وغبرها.
- صنف العلوم العملية وهوكثير غزيـر يخـالف توقـع الباحث غير المجتهد؛ ولاسيما إذا عددنا فيه التشـريع والتعليم.
- صنف العلوم الأدبية والإبداعية التنظيرية الحصرية في العروض والنقد والبلاغة والموسيقا والغناء والقصص. [(٥)] مع فارق فى الكم بطبيعة الحال بين عصر وعصر.

---

[٥] - في الإطار الأول كان ما يعرف بشق علوم الدين وهي: التفسير – الحديث – أصول الدين – أصول الفقه: =

العلوم العربية لدى التحليل عند شوقى ضـيف (بغير المعنى القح إذا جاز التعبير) :-

بصر شوقى ضيف بأن الثقافة فى صدر الإسلام وعهد بنى أمية عند التحليل تعود إلى ثلاثة جداول:

جدول جاهلى؛ وجدول إسلامى؛ ومـا سـماه جـدول أجنبى؛ وإنما قصد ظاهر تقسيم العلوم :-

- **حمل الجدول الأول**:"الشعر والأيام ومعرفة أنسـاب القبائل وتقاليد الجاهلية".قال"عبوا منه عبا"فأظهر من بينهم"علماء كثيرين يتخصصون بمعرفـة الشـعر

=علم التفسير يفسر القرآن الكريم وفق الذوق العربي والعلـم الـدقيق باللغة ومقاصد الدين العامة؛ وقد يستعين بقصـص الأنبيـاء السـابقين ومعاني الديانتين السماويتين الموافقة للروح الإسلامية. وعلم الحـديث يحقق في نسبة الحديث ونصه كمـا يصـنفه فـي التـدوين حسـب الموضوعات ودرجة الثقة. وعلم أصول الدين علم يدافع به المسـلمون عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ضد حملات الفرق الشاذة وجـدلها؛ وحتي لا يكون الدين تسليما أعمي.، وعلم أصول الفقه علم موضوعي منظم يضع قواعد للاستنباط ويستنبط الأحكام من القرآن والحديث وما يقاس عليه منهما من مستجدات الحياة المشكلات. ثم علم الشريعة: من عبادات وحدود ومعاملات.

وروايته والأنساب وتشعيباتها وأخبـار الجاهليـة وأيامها[٦].

- **والجدول الثانى** فى تحليل ضيف "القـرآن الكـريم وحديث الرسول.. وسيرته وغزواته ثم الفتـوح وأحداثها؛ وقد رأى هذا الجدول يتشـعب شـعبتين كبيرتين: شعبة تاريخية و"شعبة دينية"؛ وطبقة مـن المعلمين العامين.
- الـ "شعبة (الـ) تاريخية تعنى بتاريخ الإسلام[٧].
- والـ "شعبة (الـ)دينية تعنـى بقـراءات القـرآن

---

٦ - قال: مثل:

عبيد بن شرية راوية الأخبار اليمنية

ودغفا بن حنظلة النسابة

- والنخار بن أوس العذرى
- وزيد بن الكيس النمرى
- ووشهاب بن مذعور
- وبنى الكواء وغيرهم.

٧ - (كما يصوره لنا) أبان بن عثمان بن عثمان وعروة بن الزبير فى اهتمامهما بمغازى الرسول"؛ إلى جانبهم "من عنوا بجمـع أخبـار أهل الكتب السماوية مثل وهب بن منبه.

وبالحديث النبوى وما يتصل بهما من تشريع وفقه. وقد ألف أصحاب هذه الشعبة فى كل بلد إسـلامى مدرسة كبيرة يأخذ فيها الخلف عن السلف[٨].

وحول هذين الجدولين قال: "أخذت تنشأ.. طبقة مـن المعلمين العامين الذين كانوا يعلمون الناشئة القرآن والشعر وما يتصل بهما. وكان مـنهم معلمـون لأولاد الخاصـة.. ومعلمون لأولاد العامة[٩].

---

[٨] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ١٩٩، ٢٠٠

- قال فى الشعبة الدينية: واشتهر من بينهم بمكة تلاميذ ابـن عبـاس وعلى رأسهم عطاء وعكرمة ؛ وبالمدينة سالم بن عبـد ا بـن عمر بن الخطاب ومولاه نافع وعبيد ا بن عبـد ا بـن عتبـة وعروة بن أذينة والزهرى؛ وباليمن طاووس؛ وبالكوفة تلاميذ ابن مسعود وعلى رأسهم الشعبى وسعيد بن جبير وشريح بن الحـارث القاضى؛ وبالبصرة ابن سيرين والحسن البصرى وقتادة وإياس بن معاوية ومالك بن دينار؛ وبخراسان الضحاك بن مزاحم؛ وبالشـام شهر بن حوشب ومكحول الأوزاعى؛ وبمصر الصابحى ويزيد بن عبد ا البربى"

[٩] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص٢٠١.

- **وصدد ما سماه الجدول الثالث**: عد الثقافة الحاصلة من ملابسة العرب للأمم الأجنبية وطلبهم ما لدى هؤلاء من "معارف تطبيقية".

قيد طاب العرب العلوم الفلسفية بضـرورة مجـادلتهم النصارى وغيرهم من أصحاب الملل[10]؛ مقررا أن كثيرين من حملة هذه الثقافة الهيلينية المتشـعبة أسـلموا وتحولـوا يدافعون عن الإسلام ويردون على خصومه "يعربون تعربـا تاما"؛ وذكر دفع حروبهم مع الروم إياهم لإنشاء الأسـاطيل

- أى لأبناء خلفاء بنى أمية وأمرائهم وولاتهم. مثل عبد الصمد بن عبد الأعلى؛ ومعلمون لأولاد العامة فى كتاتيب القرى. وقـد اشـتهر الحجاج الثقفى بأنه هووأباه كانا معلمين بالطائف. ومـن هـؤلاء المعلمين: الكميت بن زيد وكان يعلم الصبية بالكوفة.. يقابله فـى مكة عطاء بن أبى رباح؛ وفى خراسان الضحاك بن مزاحم؛ وفى الرى الطرماح." قيل يخرج من عنده الصبيان وكأنهم قد جالسـوا العلماء.

[10] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ١٩٩، ٢٠٢

واقتباس بعض أساليبهم الحربية.[11] (مما جعل هذه الثقافة لا تنتظر طويلا للترجمة فى قوله). من ثم رأى عائده كان تقنيا ومردودا تأصيليا حتى فى علوم الجدول الثانى نفسـه. وقـد عددنا دلائل هذا المستغل أوالمستفاد.

وليس هذا منظور متنقص يبهر بذكر واقـع لا ينكـر ولكن لا له الأولوية بعكس ما ينحو متغرب مسـلما أوغيـر مسلم.

---

[11]- شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسـلامى، ط ١٦، ص ٢٠١

العلوم العملية ـ اللغوية والحِرفية

خدمات الكتابة

(الخطاطة - النحو- رسم الضبط - حركة الكتابة – المكتبات – الأدوات – الترجمة)

تدارك المسلمون أمية الأميين منهم بتعلم القراءة والكتابة كما ذكرنا؛ والأهم أن العلم والتعلم من حيث افتراضهما عقديا وحضاريا اقتضيا جهدا واجتهادا يشمل إصلاح خلال أداتى العلم والتعلم ومؤسساتهما جميعا: الخِطاطة والنحووالصرف والدواوين والأدوات وما إلى ذلك.

صدد الخطاطة فى تعبيرنا ذكر ابن خلدون الخط وخدماته في بدء الدعوة وبعيدها. حقا لم يكن للخط في بدء الدعوة من قواعد مقننة أومتفننة لرسمه بقدر ما كان رسما حجازيا موروثا للحروف. بيد أن الفترة سريعا ما عرفت صورة جديدة للخط في الكوفة، كما وجدت علامات للضبط ونحو ذلك.

وقد مر بنا روايات ودلائل من النقوش عن أصل الخط العربي الأقدم نبطيا فآراميا؛.وهكذا عبـر السـاميات إلـي المصرية القديمة؛ بيد أن الخط – كما قال ابن خلدون – من جملة الصناعات يجود في العمران؛ "فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلي الغاية من الإحكام والإتقـان والإجـادة ولا إلي التوسط."

وخلافا لرأى يرى فى رسم المصحف الباقى إعجـازا خاصا به لا يقاس عليه من قبيـل كتابـة "نعمـت ربـك "، "رحمت ربك" دلالة على الجمع بالمفرد اسم جنس إلـخ[١٢]؛ قد استدل ابن خلدون بخط مصحف عثمان البـاقي بهيئتـه الأساسية؛ ويصرف النظر عن الخدمات الصوتية والأدائيـة الإضافية التي أحكمت في المصاحف بعد؛ قال ابن خلـدون: "وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم – وكانت غير مسـتحكمة الإجـادة – فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صـناعة الخط عند أهلها."

---

[١٢] - د سامى عبد الفتاح هلال وكيل كلية القـرآن الكـريم بـالأزهر الشريف/ إذاعلة القرآن الكريم حوالى س٤ و٤٥ دن م.

عد التزام التابعين ومن بعدهم نفس رسوم خط عثمان في كل مصحف إلي اليوم تبركا لا يرقي إليه أي تبرك بولي، قال: " فاتبع ذلك وأثبت رسما ونبه العلمـاء بالرسـم علـي مواضعه."[13]؛ ومثل بكتاباتهم (لأذبحنه) "لاأذبحنه"، وكـذا في كتابة المصحف لكلمة (بأيدي) "بأييد". وعد من يتكلفـون تخريج ذلك جهلا "مغفلين".

ومع الفتوح وزيادة الحاجة إلي الخط "ترقت الإجـادة" في الخط، "واستحكم"، "وبلغ في الكوفة والبصرة رتبـة مـن الإتقان إلا أنها كانـت دون الغايـة. والرسـم الكوفـ ـ ـي معروف الرسم لهذا العهد". وقد تابع ترقي صناعة الخط في بغداد (الخط البغدادي) ومباينته للكـوفي بعد ذلك فى العصر العباسى.

ومن تتبع حركة التدوين المرادف لمعنى التأليف اليوم اتضح له أنه فى وقت مبكر خيف على اللسان العربى مـن آثار اللحن والخطأ وتنبه إليه منذ عهد النبى وعمر وعلى.

---

[13] - عبد الرحمن ابن خلدون/ المقدمـة، دار الكتـاب اللبنـاني، ص ٧٤٧،٧٤٨

اختلفت الروايات حول أول واضع للنحوما بـين أبـى الأسود الدؤلى الذى يقال إنه أخذه من على بن أبى طالـب – نصر بن عاصم – عبد الرحمن بن هرمز وأنه عنـه أخـذ أبوعمروبن العلاء[١٤].

ذلك أنه فى العهد الأموى خاصة، ومع اختلاط العرب بالأمم الأعجمية وسريان اللحن واللكنة أومقاربتهما فى الكلام العربى. وقد خشى على القرآن الكريم بطبيعة الحال ووجب تقويم الألسنة فوضع أبوالأسود الدؤلى أوائـل النحولضـبط أواخـر الكلمـات، فـى بـدايات مهمـة لمرحلـة وضـع الخليل(ت١٧٠هـ) كتابه العين على مخارج الحروف لضبط دلالات الألفاظ فى اشتقاقاتها حين لم يكف النحولمنـع فسـاد اللغة؛ وليتبع ذلك تدوين سـيبويه نحوالخليـل أسـتاذه فـى "الكتاب" فى العصر العباسى.

---

١٤ - المصادر وطريقة البحث فى اللغة والأدب، ط مسـقط، ١٩٨٥م، ص ٣١

وضع له أبوالأسود الدؤلى :عمروبن سفيان [15] ٦٩هـ (٦٨٨م) بالبصرة أصولا كانت مفيـدة مـع بسـاطتها أول الأمر:؛ فحرك المصاحف جاعلا النقطة فوق الحرف علامة للنصب Accusative Case، وتحت الحـرف علامـة للجـر Genitive Case، وبـين يـدى الحـرف علامـة للرفـع Nominative Case؛ فضلا عما يذكر من وضـعه علامـة للتعجب وأخرى للاستفهام.

لم يضع الدؤلى علامة للسكون مكتفيا بإهمال الشـكل" وزاد أهل البصرة السكون فجعلوه جرة أفقية فوق الحـرف منفصلة عنه" (١٦). أضاف الناس علامـة التنـوين فكانـت نقطتين الواحدة فوق الأخرى

---

[15] - صنفه البستى / مشاهير علماء الأمصار فـى طبقـة التـابعين بالبصرة ط ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، ص٩٤ (ترقيم ٦٩٤).
وينظر:المقدمة لابن خلدون، ط دار الكتاب اللبنانى، ص ١٠٥٧
أحمد حسن الزيات/ تاريخ الأدب العربى، ط ٢٥
- والفاخورى / تاريخ الأدب العربى، ط البولوسية، ص٣٤١.

[16] - وإن كان السكون رسم شرطة هكذا بلا ريب فى علم العـروض قبل أن يستقر على دائرته إلى اليوم؛ ومن المعروف أن الفراهيدى

وزاد أهل المدينة علامة للتشـديد فجعلوهـا قوسـين وهكذا.[17].

اتبعت طريقة الدؤلى إذاً زمن بنى أمية وصـدر بنـى العباس وبقيت مستعملة فى الأنـدلس إلـى زوال العروبـة والإسلام أواسط القرن العاشر الهجرى، ولما استخدم النـاس النقط فى الإعجام كما فى (ب ت ث) وهكذا اخترع الخليـل الشكل المقارب للمستعمل الآن، بـأن كتبـت الضـمة واوا صغيرة والفتحة ألفا والكسرة ياء يـاء والشـدة رأس شـين والسكون رأس خاء، وهمزة القطع رأس عين، ثـم جعلـت

البصرى الأشهر نفسه (١٧٠هـ ـ - ٧٨٦م) هوواضـع علمـى العوض وعلم النحو كليهما،.

[17] - "يجعلان فوق المشدد المفتوح وتحـت المكسـور وعـن يسـار المضموم بحيث تكون نقطة الفتحة داخل القوس والكسـرة تحـت حديته والضمة عن شماله؛ ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة وأبقوه على أصله مع الفتحة. " / مع مداخلتنا على الوجازة المدرسية للفاخورى نفسه، ص ٣٤١.

همزة الوصل رأس صاد [18] ؛ وهو تطور حثيث نراه اليوم مبسطا وعمليا فى العلامات اليوم(- - -ُ - - - -َ - -ِ - -ْ - - -ّ)[19].

[18] - اختزالا لغويا منطقيا من ألفاظ: تشديد وتخفيف وقطع ووصل.

[19] - وجدولتنا لعلامات الإعراب.. بالملاحق.

حركة الكتابة ـ عقل واحد فى الإسلام
(الرواية / الكتابة / التدوين)

مر التعريف بموضوعى الكتابة والرواية فـى الجاهلية:

- الأولى: من منطلق تقرير الحقيقة التاريخيـة مـن شواهدها: أخبارا ومخطوطات وأدوات؛ ولاسـيما فى معرض إزالة الشبهة فى مفهوم الأمية، الـذى اتضح أنه ليس مفهوما أبجديا بقدر مـا هومفهـوم قيمى وربما عصبى.
- والثانية من منطلق كونها علما شفاهيا عتيـدا قـام برأسه على الذاكرة الاستثنائية قبل شيوع التدوين: مؤسسات ووجادة، وله تحققه وأعلامه؛ إن لم نقـل علماؤه، الذين سيفرضون أنفسهم على قلمنـا فـى العصر التالى(العباسى).

مثل هذا الاحتياط والفصل بين الكتابة والروايـة فـى الإسلام لن يكون صحيحا؛ وإن جاز الفصـل بينهمـا فـى

العرض أحيانا للضرورة الاستيعابية أوالمنهجية؛ لأنهما اتحدا مؤسسات ووجادة كما بينا.

ولنبدأ بقضية الرواية من حيث كونها تتمـة منظومـة موضوع، ومن حيث خصوصية كونها فى الإسلام لحمة مع التدوين: وحيه (القرآن)، ومبدعه(الأدب وما إليـه) وتأليفـه العلوم المختلفة)، ومؤسساته وتقنياته:

سارت جنبا إلى جنب التدوين، شاملين: رواية الحديث والسير والمغازى وتفسير القرآن الكريم؛ وروايـة الشـعر واللغة ووضع النحو؛ وإن لوحظ تناقص كمها لا ملتزماتهـا تدريجيا بتعاظم شأن التدوين [٢٠]؛ حيث ارتبطت بقيمة التثبت والصدق لصلتها بالدين وبلغته التى استوجبت عناية الرسول نفسه صلى ا عليه وسلم برواية الشعر؛ كذا لعناية عمر به ونقده فيه وتثبته من صحته؛ فضلا عن عناية عائشة وابـن عباس ومن إليهما. زاد فى شأن الرواية فى المرحلة الأموية لأغراض موافقه أوسياسية حكام الأمويين وتنافس الحواضر.

---

[٢٠] - صدقت الملاحظة عبر مراحل الرواية الـثلاث: فـى العصـر الجاهلى وعصر الصدر وبنى أمية وبعد اكتمال منظومة التدوين.

الرواية فى الإسلام إذاً رواية سماع وكتبة وحسبة وسياسة؛ إذا جاز التعبير.

والحق أن تاريخ الرواية منذ الجاهلية (فيما عدا ما عد خرافة للفن والنادرة غالبا) عرف له تقاليد ضابطة؛ ولاسيما فى مجالين: علم الأنساب، ورواية الشعر. عرفنا للرواية الشعرية ثلاث فئات: الشعراء الرواة – رواة الشاعر – رواة القبيلة، عرضنا وجدولنا قبل؛ أما فى الإسلام فكما ذكرنا : رواية أعلام مدونين محققين أوجامعين على أقل تقدير؛ بحيث إذا جاز جرح راوية مشافه مثل حماد؛ لا يسهل رفض راوية محقق مثل الشيبانى، ممن نرصدهم فى قائمة أوغيرهم[21].

---

[21] - أبوعمروبن الشيبان(ت١٢٣هـ)
- أبوعمروبن العلاء(١٥٤هـ)
- حماد الراوية(١٥٥هـ)
- المفضل الضبى(١٦٨هـ)
- خلف الأحمر(١٨٠هـ)
- الأصمعى(٢١٦هـ)
- أبوزيد الأنصارى(٢١٥هـ)
- ابن سلام الجمحى(٢٣٢هـ)

وقد ساعد ظهور أعلام فى رواية الشعر واللغة ومـا شئت من الأخبار والمستجدات، كما ساعد اسـتخدام مـنهج تحقيق الحديث الشريف سندا ومتنا : فى إعمال التحقيق فـى كل علم، بما فى ذلـك علـم الروايـة نفسـه مشـترطات ومستويات: قوة وضعفا وبين بين.

لقد جاء الإسلام بعزم جديد وضوابط فى صف صدق الحديث. شدد على عدم الكذب وعلى تحرى الأمانة بـالقول وبالفعل والتشريع. ومن ذلك قوله (ﷺ): "من كـذب علـى متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [٢٢].

ويعتبر منهج كتاب الوحى وجامعى المصاحف سـديدا فى كل منهج يتوخى العدالة والإشهاد ويفرق بـين درجـات

- محمد بن حبيب(٢٤٥هـ)
- أبوسعيد السكرى(٢٧٥هـ)

[٢٢] - "باب إثم من كذب على النبى(ص): {لا تكذبوا على} {فإنه} مـن كذب على {متعمدا فليتبوأ مقعده، مضجعا من، فى النار،........}/ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، عن الكتب السـتة وعـن مسند الدارمى وموطأ مالك ةمسند أحمد بن حنبل، ج٥، ط بريـر فى مدينة ليدن؛ توثيقا بالبخارى والدارمى والترمـذى وغيـرهم، ٥٤٩.

الأسانيد، بنقد النص متنا وسندا بحِرفية وصبر شديدين؛ ومن ذلك اكتسب منهج جمع الأدب عن طريق الرواية حيطة إلى حيطة؛ لاسيما وأن رواية الشعر ذات تقاليد مدرسية قويـة؛ وهكذا يظهر فضـل رواة فتـرة أوأخـرى مـن المرحلـة الإسلامية.

من الـرواة الأعـلام إذاً مـن أشـرنا إلـيهم: أبـوا عمرووحماد الخ.

كذا الكتابة فى الإسلام: حركة دينامية واسعة تتفق مع حقيقة الدين الجديد وطبيعته وآليات عمله الحضارية البالغـة الائتمان والفعالية؛ ومنها:

- نحوعفوى ولكنه فذ من محوالأمية الكتابية القرائية.
- كتابة الوحى لنزوله.
- كتابة المكاتبات والمراسلات والعهود.
- كتابة الحديث فى أمن من اختلاطه بالقرآن.
- توزيع عمل الكتاب وتخصيصهم وتنظيم الدواوين.
- بدايات حركة تدوين موضوعى ماتعة ذات منهجية متبصرة بالأصول ومنها تحقيق الرواية والاستفادة من مسـتجدات الحيـاة : فكـرا متوافقـا وأدوات

ومصالح.

جعل الرسول الكريم فداء الأسير الواحد فى بدر تعليمه عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة.

وقد كان للوحى كتابه المؤتمنون عليه، ومنهم: على بن أبى طالب – عمربن الخطاب – عثمان بن عفـان – خـال وأبان ولدا سعيد بن العاص – وغيرهم؛ وصلوا فـى تعـداد المؤرخين للسيرة (١٧) سبعة عشر كاتبا.

وقد كان أن شرف ا تعالى القرآن كتابا؛ كمـا فـى شاهد سورة العلق؛ وكما فى قوله تعالى:" كراما كاتبين" [٢٣] ؛ "بأيدى سفرة كرام بررة"[٢٤]. هذا التشريف للقرآن باعتباره إلهى المصدر، ملائكى المحمل كان من أقوى العوامل ومـا زال لازدهار الكتابة فى الإسلام.

لقد سمى القلقشندى ديـوان الرسـائل الـذى أرجعـه صراحة إلى عهد الرسول (ص) "ديوان الإنشاء"؛ وحدد فيـه للرسول نيفا وثلاثـين كاتبـا، فـى سـيرة عنـده لـبعض المتأخرين(مع ميزة فى عمل القلقشـندى ومـن إليـه مـن

---

٢٣ - سورة الانفطار

٢٤ - سورة عبس

المتأخرين كالسيوطى وابن خلـدون وغيـرهم، باعتبـارهم موسوعيين محصلين لمتعاقب ما سبق.

استكتب النبى الكريم كتابه فى تدوين القرآن بمجـرد نزوله منجما، واستكتب أمثالهم فى شئون الناس وفى مخاطبة الملوك فى أمر الدعوة:

▪ من كتاب الوحى المؤتمنين :

- على بن أبى طالب.
- عمر بن الخطاب.
- عثمان بن عفان.
- خالد وأبان ولدا سعيد بن العاص.
- عمروبن العاص.
- شرحبيل بن حسنة.
- زيد بن ثابت.
- العلاء بن الحضرمى.
- معاوية بن أبى سفيان.
- أبى بن كعب.
- عبد ا بن أبى سرح.
- حنظلة بن الربيع.

- وغيرهم وصلوا جميعا فى تعداد المؤرخين للسيرة (١٧) كاتبا.

▪ وفى الشئون العامة:

- كان يتولى الكتابة بين النـاس خالـد بـن سـعيد ومعاوية.
- وبين القوم فى قبائلهم ومياههم عبد ا بن الأرقـم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة.
- وقد كان الأخيران ينوبان عن خالد ومعاوية إذا لـم يحضرا.
- كما كان حنظلة بن الربيع – وهوأحد من سـيرهم الرسول لدعوة يزدجرد إلى الإسلام خليفة كل كاتب من كتاب الرسول إذا غاب عن عمله.
- هذا إلى جانب كتابة مغانم الرسـول التـى كـان يتولاها معيقب بن أبى فاطمة.

كذا لم يهمل القلقشندى ما عده دواوين أقل شهرة وهى دواويـن: الصـدقات – خـرص النخـل – المـداينات – المعاملات؛ وذكر ديوان الجيش وأن أول من وضعه ورتبـه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. فـى خلافتـه، وأن أبـا

العباس السفاح أول من استعمل كلمة "الوزير"، باعتباره كاتبا أويستعمل كاتبا[٢٥].

عرف ديوان الرسائل إذاً فى عهد الرسـول؛ وخلالـه ونحوه كتب فى شئونه وإلى أمرائه وأصحاب سراياه وإلـى من قرب من ملوك الأرض[٢٦].

---

٢٥ - القلقشندى/ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ط وزارة الثقافـة، ١٩٦٣م، مج١، ص٩١-٩٣.

٢٦ - ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبى،١٣٣٩هـ - ١٩١٨م، ص ١٠١،١٠٢)؛ فضلا عن كتابه (ص) إلى يهود خيبر (ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحيـاء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبى،١٣٣٩هـ ـ - ١٩١٨م، مج١، ص١٣٣).

- كتاب صلح الرسول مع صاحب أيلة(القدس): يحنة بن رؤبة، حـين قدم على الرسول فى تبوك.

- كتب مماثلة فى نفس الموضع لأهل جرباء أذرح(ابن هشام/ السـيرة النبويـة، دار إحيـاء الكتـب العربيـة فيصـل عيسـى البـابى الحلبى،١٣٣٩هـ - ١٩١٨م، مج٤، ص ١٢٢).

- كتابه عليه الصلاة والسلام لثقيف(ابن هشام/ السـيرة النبويـة، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبـى،١٣٣٩هـ ـ - ١٩١٨م، مج٤، ص١٣٥)

وقد أباح الرسول(ص) كتابة حديثه بعد أمن اختلاطـه بالقرآن، كما حث مع القرآن على الكتابة والقـراءة؛ وسـن أخلاقا رفيعة فى ذلك فى معية تشريع ا تعالى فـى ذلكمـا الأمرين الجليلين كما أمر بتعلم ألسنة أجنبية.

هكذا شمل التدوين جمع القرآن والحديث وتفسير كـل منهما والمكاتبات والمعاهدات؛ وشـيئا فشـيئا وفـى زمـن متقارب نشط التدوين الحربى والتاريخى وجمع اللغة ووضع أوائل المعاجم وجمع الشعر وغير ذلك. سـاعدت الروايـة وخبرة تدوين القرآن الكريم لوقته ووضعه فى مصاحف عهد أبى بكر وتوحيد المصحف عهد عثمان؛ كما ساعدت متاحات

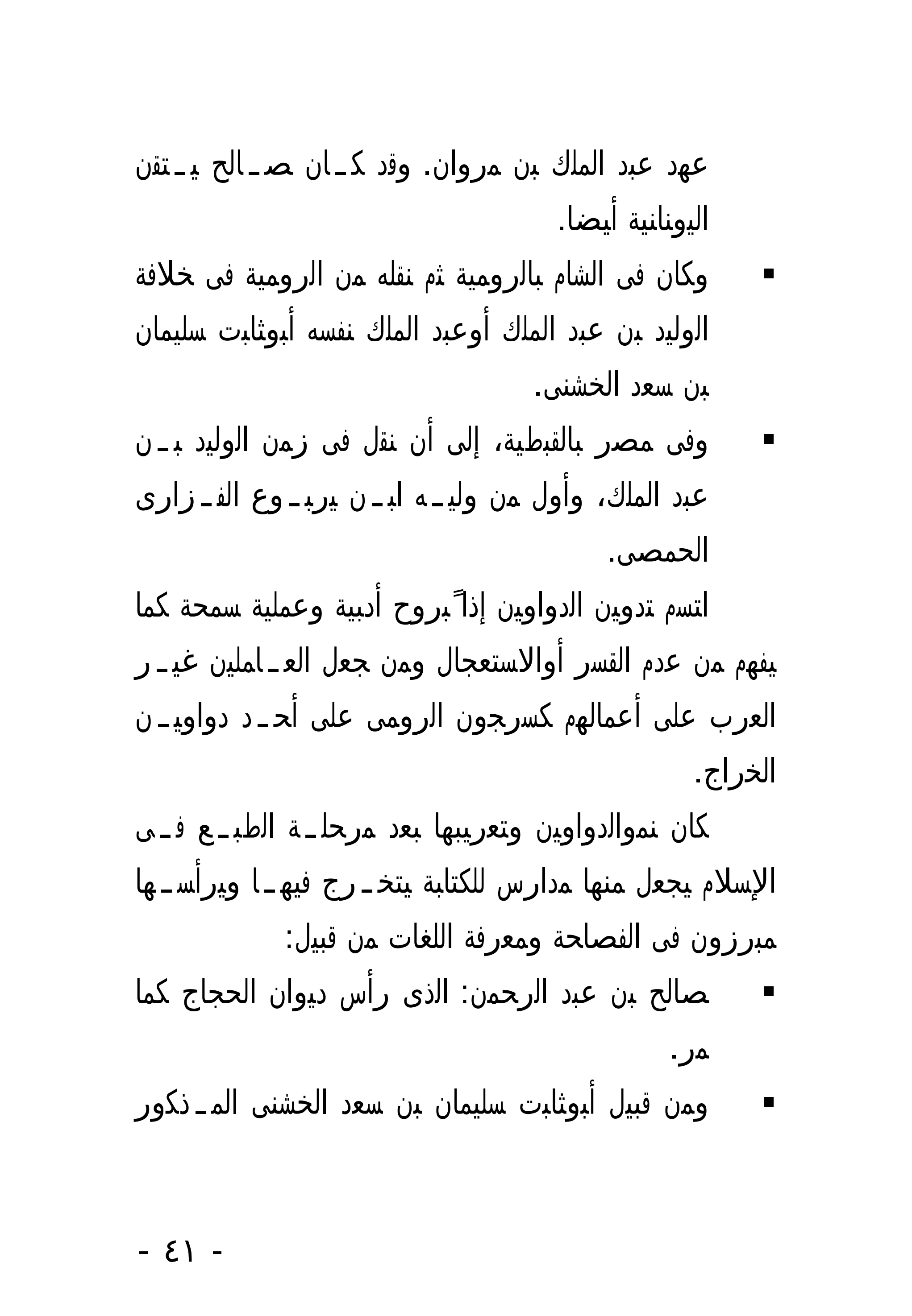
- كتابه عليه الصلاة والسلام لملوك حمير ردا على كتابهم(ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية فيصـل عيسـى البـابى الحلبى،١٣٣٩هـ - ١٩١٨م، مج٤، ص١٧١)
- كتبه عليه الصلاة والسلام إلى الملوك مع رسل من أصـحابه بعيـد الحديبية : قيصر – كسرى – النجاشى – المقوقس – ابنى الجلندى – ملكى اليمامة – ملك البحرين – ملك تخوم الشام؛ وإلى جبلة بن الأيهم الغسانى وإلى ملك اليمن(ابن هشام/ السـيرة النبويـة، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابى الحلبـى،١٣٣٩هـ ـ - ١٩١٨م، مج٤، ص ١٨٤)

الأدوات ومكتشفات بعض الفتوح منها واستقرار الأحوال عقبها أوخلالها على توفير بنية أساسية علمية لأهل المرحلة ومن بعدهم.

الدواوين الحكومية
بلاغة وسماحة – مكتبات –أدوات كتابة –
مؤلفات - ترجمة

- قال الزيات:" كان أولياء العرب فى الصدر الأول كتابا بالطبع يملون أويكتبون ما يريدون بأسلوب موجز ولفظ فصيح" وشفع بأن "ديوان الخاتم للرسول الكريم؛ ودواوين الجند ودواوين الرسائل كانت تكتب بالعربية منذ وضعت"..؛ "فلما امتدت ظلال الخلافة وفاضت موارد الفىء اضطرهم ضبط ذلك إلى إنشاء الدواوين(دواوين الخراج) فدونها عمر، ثم عهد الخلفاء بالكتابة فيها إلى العرب والموالى والمتعربين.
- قال: "وظلت كتابة الخراج فى الأقاليم بلغة أهل المصر.؛ حتى حذقها من العرب طائفة صالحة سدوا حاجة الدواوين، مع اطراد التحضر:

  - مكث ديوان الخراج فى العراق وفارس بالفارسية إلى أن نقله صالح بن عبد الرحمن فى ولاية الحجاج فى



عهد عبد الملك بن مروان. وقد كـان صـالح يـتقن اليونانية أيضا.

- وكان فى الشام بالرومية ثم نقله من الرومية فى خلافة الوليد بن عبد الملك أوعبد الملك نفسه أبوثابت سليمان بن سعد الخشنى.
- وفى مصر بالقبطية، إلى أن نقل فى زمن الوليد بـن عبد الملك، وأول من وليـه ابـن يربـوع الفـزارى الحمصى.

اتسم تدوين الدواوين إذاً بروح أدبية وعملية سمحة كما يفهم من عدم القسر أوالاستعجال ومن جعل العـاملين غيـر العرب على أعمالهم كسرجون الرومى على أحـد دواويـن الخراج.

كان نموالدواوين وتعريبها بعد مرحلـة الطبـع فـى الإسلام يجعل منها مدارس للكتابة يتخـرج فيهـا ويرأسـها مبرزون فى الفصاحة ومعرفة اللغات من قبيل:

- صالح بن عبد الرحمن: الذى رأس ديوان الحجاج كما مر.
- ومن قبيل أبوثابت سليمان بن سعد الخشنى المـذكور

أيضا.

- وكسالم، مولى هشام بن عبد الملـك؛ وقـد رأس لـه ديوانه فى الحكم، وكان يتقن اليونانيـة إلـى جانـب العربية، وله ترجمة عن أرسطوطاليس.
- وكالكاتب الأشهر عبد الحميد، تلميذ سالم. وقد كتـب عبد الحميد لمروان بن محمد، آخر خلفاء بنى مروان؛ وذلك طيلة إمارة مروان وخلافته.

وأما نواميس الكتابة فى هذه الدواوين فقواعد وأصول؛ إذ "ثقلت أعباء الدولة كما قال الزيات فاتخذوا نواميس مـن كتاب العرب وأدباء الموالى؛ وفى هؤلاء كما قال من وقـف على أنظمة الفرس والروم فوضعوا للرسائل قيودا وحـدودا أوشكت أن تصير بها صناعة"[(٢٧)].

قال ضيف وكان ديوان الحجاج نفسه أشبه بمدرسـة يرأسها صالح بن عبد الرحمن الـذى نقـل الـدواوين مـن الفارسية إلى العربية؛ ومن تلاميذ صالح فى العراق الكتاب:

---

[٢٧] - أحمد حسن الزيـات، تـاريخ الأدب العربـى، ط٢٥، ص ١٩٦ وسياق الفاخورى قبل.

+ الفاخورى، نفسه ص

- المغيرة بن أبى قرة الذى كتب ليزيد بن المهلب فى ولايته لسليمان.
- قحذم بن أبى سليم، وشيبة بن أيمن كاتبا يوسف بن عمر.
- المغيرة وسعيد ابنا عطية. والأخير كتب لعمـروبن هبيرة.
- ومروان بن إياس الـذى كتـب لخالـد القسـرى، وغيرهم[28].

وقد رأى ضيف أن ديوان هشام بن عبد الملـك (١٠٥ ـ ١٢٤هـ) كان مدرسة كبيرة رقت بالنثر الفنى إلى أبعـد غاية كانت تنتظره إذ تولى ديوانه سالم مولى هشام، وتخرج على يديه غير كاتب اشتهر منهم ابنه عبد ا وصهره وختنه عبد الحميد الذى كتب لمروان بن محمد عامل هشـام علـى أرمينية والخليفة الأخير من بعده. كان سالم يجيد اليونانيـة.

---

[28] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٧٠

نقل بعض رسائل أرسطاليس، وجعله ابن النديم أحد البلغاء العشرة الأول؛ وأخبر عن رسائل له تبلغ نحومائة ورقة[٢٩].

ولكتابة الكاتب على لسان مواليه صار ضمير الكتابـة ضمير الغائب؛ ولوحدة المدرسة امتاز أسلوب رسائل ديوان هشام بالرصانة والجزالة والازدواج ح ومثل برسالة علـى لسان هشام إلى يوسف بن عمر وقد استخف ببعض أهله[٣٠].

فى هذه المدرسية الأدبية العتيدة قال ضـيف : إنهـم كانوا يعنزن بالطوامير والقـراطيس (الصـحف الكبيـرة) عنايتهم بنفس كتابتهم وخطوطهم؛ وأن الوليد أول من كتـب

---

٢٩ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٧٠

٣٠ - على لسان هشام إلى يوسف بن عمر وقد استخف ببعض أهله: "حللت هضبة أصبحت تنحوبها عليهم مفتخرا. هذا إن لم يدهده (يسقط) بك قلة شكرك متحطما وقيذا (صـريعا). فهـلا يـابن مجرشَـة (الماشطة) قومك أعظمت رحلهم عليك داخلا، ووسعت مجلسه إذ رأيته إليك مقبلا، وتخافيت له عن صدر فراشك مكرما ثم فاوضته مقبلا عليه ببشرك إكراما لأمير المؤمنين".

- قال ضيف : رسالة طويلة كلها من هذا النسيج الأنيق الـذى يزينـه الازدواج والصور البيانية.

فى الطوامير، وأمر بأن تعظم كتبه ويجلل الخط الذى يكتب به (يعظم)، قائلا: "تكون كتبى والكتب إلى خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض؛ وبدا للباحث أن المغالاة فى النفقة والإطناب صارا ظاهرة؛ حتى أمر عمر بن عبد العزيز بالاقتصاد فى القراطيس.

المكتبات:

من متممات القول فى الدواوين من حيث كونها مؤسسات للكتابة القول فى المكتبات خاصة وعامة وأية مجالس أومساجد يقرأ فيها أومنها الناس؛ ومن الإشارات فى هذا لدينا:

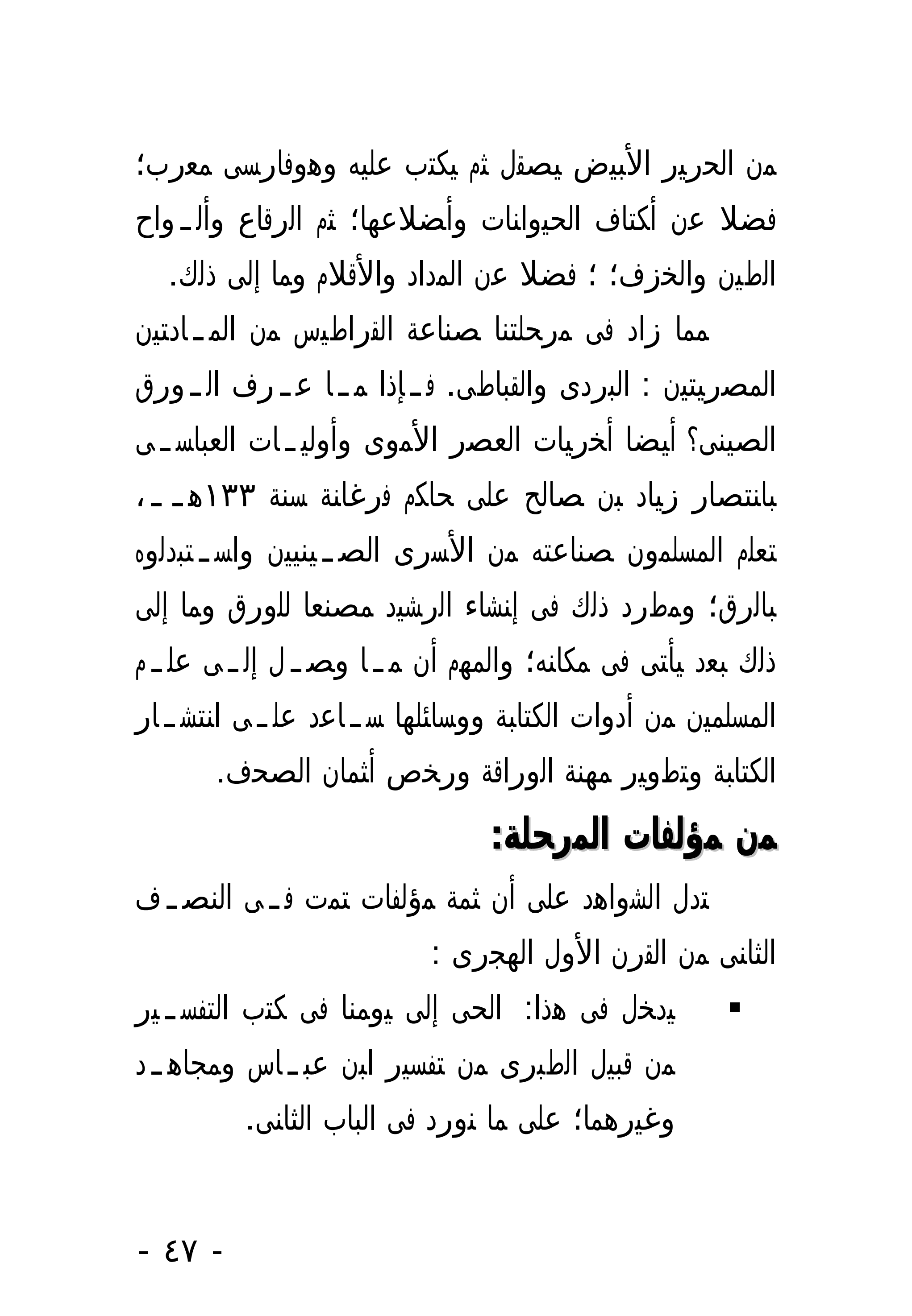
- ما نورده فى الترجمة من أن ابن جلجل ذكر أن ما سرجويه الطبيب البصرى فسر كتاب أهرون بن أعين القس إلى العربية (ترجمه)؛ ووجده عمر بن عبد العزيز فى خزائن الكتب؛ فأمره بإخراجه وبثه فى الناس.
- ما أخبر به ابن خلكان عن الزهرى(٥٠ – ١٢٤هـ) من أن زوجة الزهرى تشكت من انشغاله بكتبه، لدرجة أنها اعتبرتها أشد عليها من ثلاث ضرائر.

- ما ذكره صاحب الأغانى من أن عبد الحكيم بن عمرو.. الجمحى اتخذ بيتا فيه بعض مواد اللعب والدفاتر التى فيها من كل علم يقرؤها زواره. (ويبدوهذا أدخل فى مكتبات العصر العباسى التى تمثل مطرد تعاظم الظاهرة المكتبية بعد كدار الحكمة وغيرها.

أدوات الكتابة وتقنياتها :

مر أن الجاهليين عرفوا الكتابة واستعملوا فيها كل متاح من بئتهم؛ فإذا كان الانتشار الإسلامى شرقا وغربا انضمت خبرتا مصر والصين فى هذا الأمر وعظم شأن الكتابة أكثر وأكثر.

مكن فتح مصر فى عهد عمر من دخول مادتين جديدتين للكتابة هما : البردى والقباطى بعد أن كانت تتم على العسب وهى جريد النخل إذا يبس ونزع خوصه؛ والكرانيف وهى أصول السعف الملتصق بجذع النخلة؛ واللخاف وهى الحجارة الرقيقة البيضاء؛ والجلود التى سميت الرق؛ والأديم والقضيم؛ الكرابيس وهى أثواب من القطن الأبيض؛ والمهارق وهى صحف بيضاء؛ والصمغ وهونسيج



من الحرير الأبيض يصقل ثم يكتب عليه وهوفارسى معرب؛ فضلا عن أكتاف الحيوانات وأضلاعها؛ ثم الرقاع وألـواح الطين والخزف؛ ؛ فضلا عن المداد والأقلام وما إلى ذلك.

مما زاد فى مرحلتنا صناعة القراطيس من المـادتين المصريتين : البردى والقباطى. فـإذا مـا عـرف الـورق الصينى؟ أيضا أخريات العصر الأموى وأوليـات العباسـى بانتصار زياد بن صالح على حاكم فرغانة سنة ١٣٣هـ ـ، تعلم المسلمون صناعته من الأسرى الصـينيين واسـتبدلوه بالرق؛ ومطرد ذلك فى إنشاء الرشيد مصنعا للورق وما إلى ذلك بعد يأتى فى مكانه؛ والمهم أن مـا وصـل إلـى علـم المسلمين من أدوات الكتابة ووسائلها سـاعد علـى انتشـار الكتابة وتطوير مهنة الوراقة ورخص أثمان الصحف.

من مؤلفات المرحلة:

تدل الشواهد على أن ثمة مؤلفات تمت فـى النصـف الثانى من القرن الأول الهجرى :

- يدخل فى هذا: الحى إلى يومنا فى كتب التفسـير من قبيل الطبرى من تفسير ابن عبـاس ومجاهـد وغيرهما؛ على ما نورد فى الباب الثانى.

- نحوسبعة مـؤرخين رواد للسـيرة سـبقوا ابـن هشام(٢١٣هـ) وابن اسحاق بن يسار(١٥١هـ ـ)، نوردهم الباب الثانى أيضا.
- يدخل فى هذا مكتوبات جميع كتاب الدواوين الذين استعرضناهم بطبيعة الحال وعلى كتـاب رأسـهم كتاب ديوان النبى صلى ا عليه وسلم.

لا يتصور فى المقام الأول أن مؤلفين/ واضعين للعلوم ترد وفاتهم بعيد ١٣٢هـ لم يؤلفوا قبلها أوقبيلها :-

- منهم بلا ريب جم طيـب مـن جـامعى الحـديث ومدونيه عدوا جيلا واحدا سنة بضع وأربعين ومائة نوردهم العباسى.
- ولعل من هؤلاء الصديق الصدوق لعبـد الحميـد الكاتب / عبد ا بن المقفع(١٠٦ – ١٣٩هـ)
- ومن مؤلفاته: الأدب الصـغير – الأدب الكبيـر – رسالة الصحابة؛ فضلا عن عـد ترجمتـه لكليلـة ودمنة أسلوبية منه غير حرفية.
- وعلم النحووالعروض العظيم : الخليل بـن أحمـد الفراهيدى (١٦٠ أو١٧٠هـ).

بيد أن من صريح القول فى مؤلفات المرحلة ما يأتى:

- رسائل عبد الحميد الكاتب نفسه وهى كثيرة.
- ما ذكر فى الفهرست ومنه كتاب فى الأنساب ألفه زياد بن أبيه(٥٣٠هـ).
- مدونة فى الأنساب لدغفل بن حنظلة السدوسى (٧٠هـ) دونت مجالسة لمعاوية فى كتاب"التضافر والتناصر ذى الأجوبة البليغة " ومنه بقايا فى كتاب البيان والتبيين للجاحظ[٣١].
- كتاب فى الأمثال لعلاقة الكلابى.
- كتاب فى الأمثال لصحار العبدى أحد النسابين الخطباء زمن معاوية.
- كتاب فى الوصايا والحكم للمستورد بن علقة الخارجى.
- كتاب فى ألف ورقة لغيلان المرجئ ذكره صاحب الفهرست.
- رسائل وخطب ذكر الجاحظ أنها كانت مدونة

---

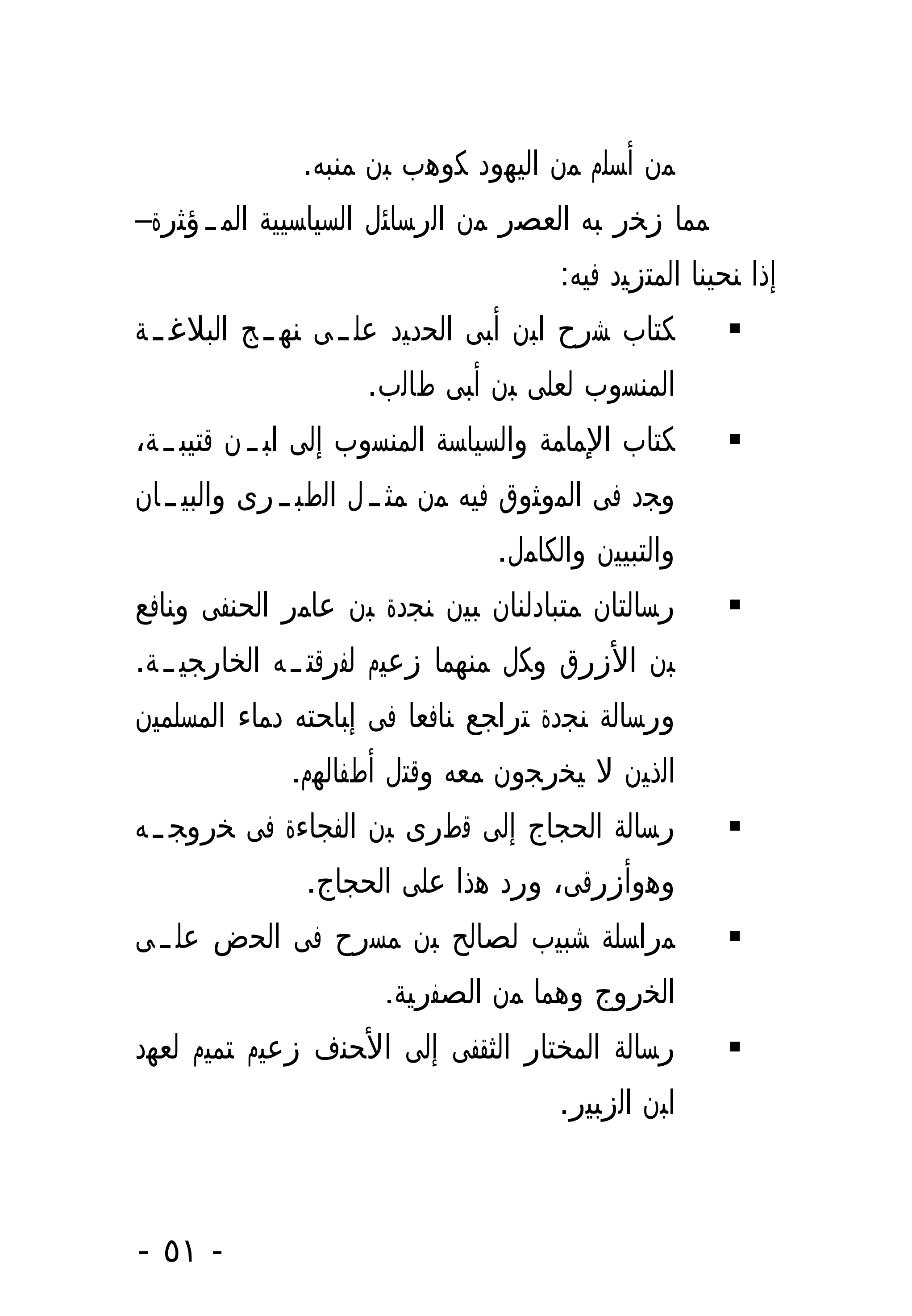
[٣١] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ٤٥١

لواصل بن عطاء المعتزلى.

- رسالتان للحسن البصرى أرسل بهما إلى الحجـاج وعبد الملك فى المحاجة لرأيه فى القدر ح فضـلا عن تفسير حمل عنه.
- كتاب لخالد بن صفوان ذكره الجاحظ.
- كتاب فى الغناء وضعه لأول مرة يـونس الكاتـب الذى نسب إليه ابن النديم ثلاثة[32].
- قصة تبع وأشعاره لابن مفرغ الشاعر.
- مدونات لأشعار بعض الشعراء هيئوا لها الأسباب.
- فهما من أمر ذى الرمة لعيسى بن عمـر بكتابـة شعره.
- وكذا أمر جرير راوينه حسينا بإعداد ألواح ودواة لإملائه، وأمره سامعيه بالمربـد بالتقييـد لشـعره ولشعر الفرزدق.
- إلى مدونات ترد للرواة بين يدى بعـض الخلفـاء؛ كدغفل وابن شرية؛ أوترد أوتدخلها إسائيليات بعض

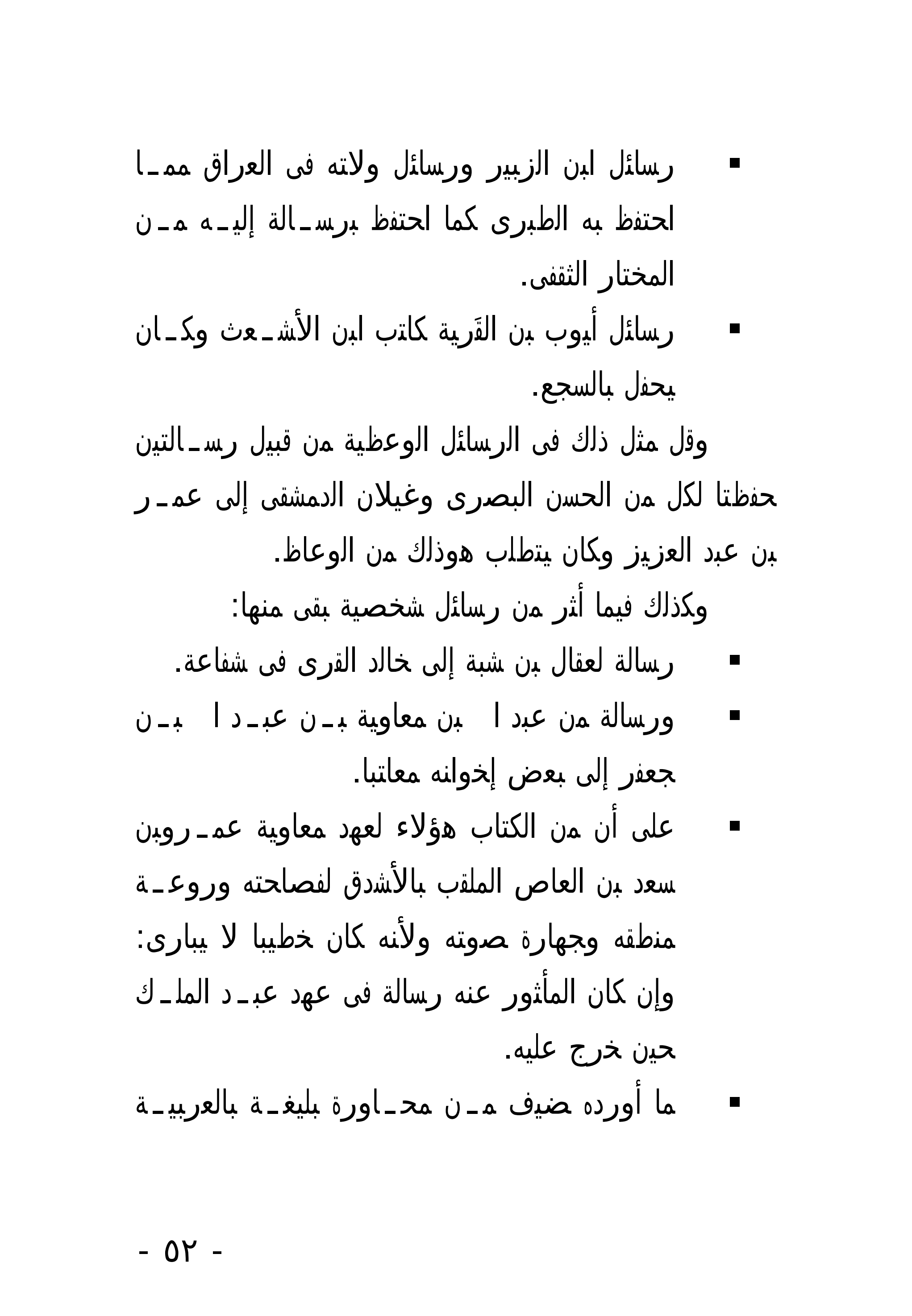
---

[32] - ئشوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ٤٥٥


من أسلم من اليهود كوهب بن منبه.

مما زخر به العصر من الرسائل السياسيية المـؤثرة–إذا نحينا المتزيد فيه:

- كتاب شرح ابن أبى الحديد علـى نهـج البلاغـة المنسوب لعلى بن أبى طالب.
- كتاب الإمامة والسياسة المنسوب إلى ابـن قتيبـة، وجد فى الموثوق فيه من مثـل الطبـرى والبيـان والتبيين والكامل.
- رسالتان متبادلنان بين نجدة بن عامر الحنفى ونافع بن الأزرق وكل منهما زعيم لفرقتـه الخارجيـة. ورسالة نجدة تراجع نافعا فى إباحته دماء المسلمين الذين لا يخرجون معه وقتل أطفالهم.
- رسالة الحجاج إلى قطرى بن الفجاءة فى خروجـه وهوأزرقى، ورد هذا على الحجاج.
- مراسلة شبيب لصالح بن مسرح فى الحض علـى الخروج وهما من الصفرية.
- رسالة المختار الثقفى إلى الأحنف زعيم تميم لعهد ابن الزبير.

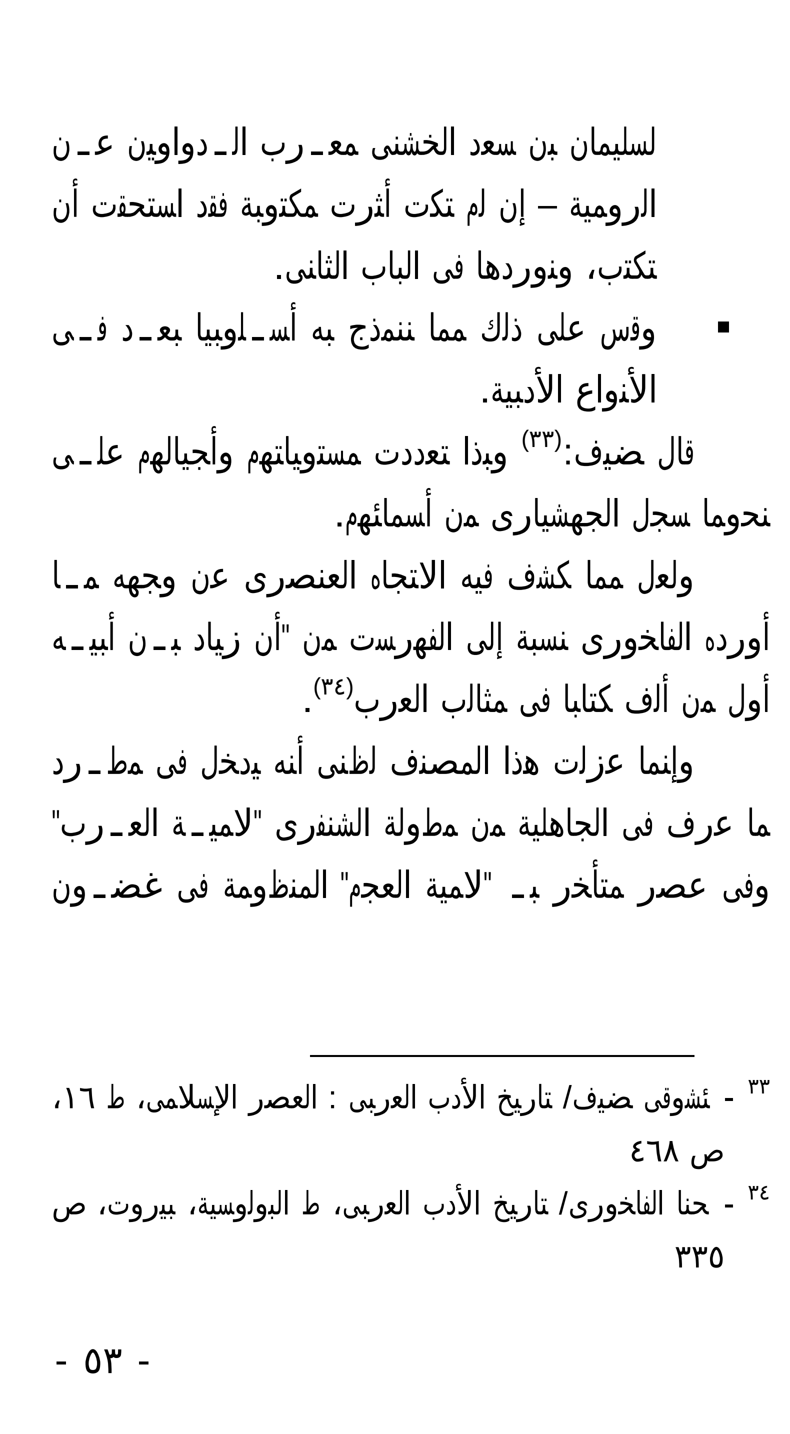


- رسائل ابن الزبير ورسائل ولاته فى العراق مما احتفظ به الطبرى كما احتفظ برسالة إليه من المختار الثقفى.
- رسائل أيوب بن القَرية كاتب ابن الأشعث وكان يحفل بالسجع.

وقل مثل ذلك فى الرسائل الوعظية من قبيل رسالتين حفظتا لكل من الحسن البصرى وغيلان الدمشقى إلى عمر بن عبد العزيز وكان يتطلب هوذلك من الوعاظ.

وكذلك فيما أثر من رسائل شخصية بقى منها:

- رسالة لعقال بن شبة إلى خالد القرى فى شفاعة.
- ورسالة من عبد ا بن معاوية بن عبد ا بن جعفر إلى بعض إخوانه معاتبا.
- على أن من الكتاب هؤلاء لعهد معاوية عمروبن سعد بن العاص الملقب بالأشدق لفصاحته وروعة منطقه وجهارة صوته ولأنه كان خطيبا لا يبارى: وإن كان المأثور عنه رسالة فى عهد عبد الملك حين خرج عليه.
- ما أورده ضيف من محاورة بليغة بالعربية



لسليمان بن سعد الخشنى معـرب الـدواوين عـن الرومية – إن لم تكت أثرت مكتوبة فقد استحقت أن تكتب، ونوردها فى الباب الثانى.

- وقس على ذلك مما ننمذج به أسـلوبيا بعـد فـى الأنواع الأدبية.

قال ضيف:[٣٣] وبذا تعددت مستوياتهم وأجيالهم علـى نحوما سجل الجهشيارى من أسمائهم.

ولعل مما كشف فيه الاتجاه العنصرى عن وجهه مـا أورده الفاخورى نسبة إلى الفهرست من "أن زياد بـن أبيـه أول من ألف كتابا فى مثالب العرب[٣٤].

وإنما عزلت هذا المصنف لظنى أنه يدخل فى مطـرد ما عرف فى الجاهلية من مطولة الشنفرى "لاميـة العـرب" وفى عصر متأخر بـ "لامية العجم" المنظومة فى غضـون

---

[٣٣] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ٤٦٨

[٣٤] - حنا الفاخورى/ تاريخ الأدب العربى، ط البولوسية، بيروت، ص ٣٣٥

(٥١٤هـ - -١١٢٠م) للطغرائى[٣٥] (وغالب ظنى وقوع هذه الأعمال بالتحديد فى مجال التفتى الفنى) لا العنصرى الجـاد أوالقصدى؛ ولاسيما أن ماورد فى العصر العباسى بعد مـن مثل كتاب العصا للجاحظ فى رصـد تقاليـد العـرب فـى الخطابة، لا تبعد كثيرا عما صنفه هونفسه فى محاسن الترك وغيرهم. وقد كان لـدى الجميـع مـن التنـافس المـذهبى والسياسى وربما الدينىح فضلا عن التهديد الخـارجى مـا يكفى. وكله تنافس للاحتواء أوالجمعية إلى بدايـة انفصـال للولايات؛ لم يكن له أبدا سند نظرى أومصلحة عملية؛ وربما لم يكن منه بد بسبب طبيعة الإشكالية التى حكمـت الدولـة الإسلامية وهى إشكالية الدولة الخلافة البيعوية لا الشـورية الإجرائية، كما أرخنا فى العصر العباسى.

دور الترجمة:

جزيرة العرب ".. تقع بين مدنيتين من أعظم مـدنيات العالم وهما مدنيتا الفرس.. والروم.. وبينها وبينهما اخـتلاط من قديم الزمن خاف بعض الآثار فـى اللغـة والأدب مـن

---

[٣٥] - لامية العرب نشيد الصحراء لشاعر الأزد الشنفرى، منشـورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص ٤٧

طريق التبادل المادى والمعنـوى". العبـارة للزيـات [٣٦]؛ ولواعتبرنا بحقيقة أن من العرب من عاشوا خارج الجزيرة. وإذا اعتبرنا بما جاور هؤلاء وأولئك وداخل الجميـع مـن لغات وعقائد سامية لها صلة رحم وعلائقيـة (سـيمنتيكية) لغوية مشتركة مع العرب والعربية خاصة؛ فإننـا يمكـن أن نفهم حاصل هذا التداخل والتشارك والتناس والتبادل كله بأنه "تخلق" للعرب وللعربية من خلال الجميع؛ وهوما أتاح لهـذا التخلق الجديد أن يظل الأظهر طبيعة وهوية بالإسلام نفسـه وبعده أوبالأحرى فيه. بذا يصبح وصف الزيـات لـه فـى الإسلام بأنه "هذا الاختلاط أصبح بعـد أن فتحهـا الإسـلام امتزاجا شديدا تداخلت به اللغات والأفكار والعوائـد حتـى صار موردا فياضا من موارد الأدب". مثل هـذا الوصـف يقارب ويفارق ويناقض.؛ على نحوما تفعل تعبيرات لأحمـد أمين فى عده حروبا عقدية ولغوية وعرقية الخ [٣٧]؛ وقد رأينا أن العبارة تخون أوتخان فى تأريخ حنـا الفـاخورى رغـم

---

[٣٦] - أحمد حسن الزيات/ تـاريخ الأدب العربـى، ط٢٥، ص ١٠٠، ١٠١ والسياق الأوسع ص ٩٠- ١٠٢

[٣٧] - أحمد أمين/ فجر الإسلام، نفسه، ص ٤٤١ - ١٤٨

احتوائه على معومات خام وتنظيمية هامة. ومن ذلـك عـده دخول الخبرات والأفكار إلى المسلمين أوطلبهم إياها فى حد ذاتها دخولا إلى الإسلام؛ فضلا عن عـدم ذكـره التعـرب والدخول الطوعى فى الإسلام[٣٨].

أما طبيعة هذا التطور اللغوى والحضارى جملة فلسنا نراه إلا تفاعلا مأمونا جرى ويجرى بين النـاس فـى أمـة موحدة؛ ويكون ما نورده من أفكار الأصول غيـر العربيـة أوما يترجم عنها لا يعـدوأن يكـون فـى عـداد المعـرب أوالمعروض فحسب [٣٩]. ذلك أنه مهمـا قيـل عـن كـم

---

٣٨ - يحرص الفاخورى على تصـوير دخـول المعـارف والأدوات السابقة لانتشار الإسلام فى الشام ومصر الخ على أنه دخول منهـا للإسلام؛ بدل أن يقول : للمسلمين أوللدولة. وهويوفق حقـا حـين يستخدم تعبير "إلى العرب" / تاريخ الأدب العربى،ط ٨، المطبعة البولوسية، ص٣٤٣، ٣٤٠

٣٩ - فى منظور مؤرخ متنقص أومتحسس من الحقيقة الإسلامية يفيدنا أن نقدر نشاطه فى إبراز دور الحضارات الأسبق ومراكزها فـى تأريخه المذكور؛ ومنه قوله :"تسربت الثقافات الأجنبيـة ولاسـيما اليونانية إلى العرب من مراكز كثيرة" أهمها عنده:

التأثيرات غير العربية فى العربية والإسلام : سـواء عـن طريق العناصر غير العربية الأصل : مستعربة أومتحفـزة؛ أوعن طريق النظم والعلوم المتقبلة عمـلا أوترجمـة؛ فـإن

▪الاسكندرية. قال: "الثقافة اليونانية والفكر اليونانى الذى انتقـل إلـى العرب على يد علماء كثيرين وجدهم العرب الفاتحون.." -

▪ "مدرسة نصيبين: على شـاطئ الفـرات حيـث ازدهـرت فلسـفة الأفلاطونية الحديثة"

▪ مدرسة الرها: موئل السريان حيث امتزج العقـل اليونـانى بالعقـل الكلدانى"

▪ "مدرسة جنديسابور فى الأهواز، التى أسسها كسرى أنوشروان ٥٣١ – ٥٧٩م، وجعلها معهدا للدراسات الفلسـفية والطبيـة، ومعظـم أساتذتها من النساطرة؛ وكانت تدرس فيها الثقافة الهندية بجانـب الثقافة اليونانية، وكانت من ثم مراكزا لثلاث ثقافـات : اليونانيـة والهندية والفارسية؛ وقد اشتهرت بالطب وظلت تـؤدى خـدمتها الثقافية فى العهد العربى"/ حنا الفاخورى/ تاريخ الأدب العربى،ط ٨، المطبعة البولوسية، ص ٣٤٠

- وقد ذكر ضيف مدرسة الإسكندرية وجنديسابور ونصيبين والرهـا وزاد أنطاكية وقنسرين وحران وبعض الأديرة فى العراق والشـام ومصر./ شـوقى ضـيف/ تـاريخ الأدب العربـى : العصـر الإسلامى، ط ١٦، ص ٢٠١

النتيجة هى أن الدولة (ولا أقـول العـرب أوالمسـلمين إلا بالمعنى الحضارى المستهدف أصلا المستوعب للجميع عملا أوأملا). هذه الدولة – وإن صح أن عساكرها انتصرت على امبراطوريتين غاربتين – إلا أن الحسم إنما واتاهـا توفيقـا وتقبلا قيما أوقيميا "فى شيئين أعظم وأبقى: اللغة والـدين"[٤٠] من حيث هووعبة أديان فى الإسلام[٤١].

---

[٤٠] مداخلتنا على الكلمات المحدد حولها اقتباسا من أحمد أمين/ فجـر الإسلام، همعك ١٩٩٦م، ص ١٤٨

[٤١] رغم عبارة الفاخورى "تسرب الثقافة؛ من هذه المراكز فإنه حصـر ذلك فى "الاحتكاك" عده شديدا دون توضيح كـاف؛ و"الترجمـة"، رآها محدودة. قال: "وقد كان هذا الاحتكاك فى العهد الأموى شديدا بين العرب وأصحاب الثقافات اليونانية والآرامية فى بلاد الشـام، وكثيرا ما استقدم الخلفاء إلى بلاطهم العلماء والفلاسفة والأطبـاء. وكانت الترجمة هى الطريق الثانية..؛ إلا أنها فى عهد بنى أميـة محدودة يقوم بها أفراد أولعوا بالعلم وانصرفوا إليه؛ وقد وجهـوا جهودهم بنوع خاص إلى نقل كتب الطب والكيميـاء والتـاريخ."/ حنا الفاخورى/ تاريخ الأدب العربى،ط ٨، المطبعة البولوسية، ص ٣٤١

من هنا كانت الترجمة مظهر عمل طبيعة فى الاجتماع العربى الإسلامى، وأمرا واردا وتلقائيا ومستوعبا ومتوافقـا بالضرورة. ولعلنا نبدأ برصد دلائل حضور تراث مترجم فى هذه الدولة العربية بغير المعنى القح إذا جاز التعبير:

رأى شوقى ضيف مثلنا ذلك، مع أنه بصر بأن الثقافة فى صدر الإسلام وعهد بنى أمية عند التحليل تعود إلى ثلاثة جداول جدول جاهلى وما سماه جـدول إسـلامى وجـدول أجنبى؛ وإنما قصد ظاهر تقسيم العلوم:

- ▪ "الشعر والأيام ومعرفـة أنسـاب القبائـل وتقاليـد الجاهلية" فى الجدول الأول.
- ▪ "القرآن الكريم وحديث الرسول.. وسيرته وغزواته ثم الفتوح وأحداثها فى الثانى.
- ▪ عد الجدول الأجنبى مـن ملابسـة العـرب للأمـم الأجنبية وطلبهم ما لدى هؤلاء من "معارف تطبيقية". مع أنه قيد طلاب العرب الفلسفية بضرورة مجـادلتهم النصارى وغيرهم من أصحاب الملل[٤٢]؛ ومـع أنـه

---

[٤٢] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ١٩٩، ٢٠٢

قرر أن كثيرين من حملة هذه الثقافة الهيلينية المتشعبة أسلموا وتحولوا يدافعون عن الإسلام ويـردون علـى خصومه "يعربون تعربا تاما"؛ (مما جعل هذه الثقافة لا تنتظر طويلا للترجمة فى قوله). ومن مظاهر ذلـك عند ضيف :

- استعانة فى تخطيط المدن واستغلال الأرض وشق الترع والقنوات.
- طرق الجباية وضبط الدواوين.
- عناية سويرس سيبوخت أسقف دير قنسرين وتلميذه يعقوب الرهـاوى وجـورجيس أسـقف حـوران بالمنطق الأرسطى والفلسفة اليونانية.
- مجادلات العرب مع يوحنا الدمشـقى الـذى كـان يشرف على الشئون المالية لغير خليفة أموى ولـه مصنفات مختلفة منها محاورة مع بعض المسـلمين فى ألوهية المسيح ونظرية حرية الإرادة.
- كون يزيد بن معاوية أول من ترجمت لـه كتـب النجوم والطب والكيمياء وله كتب ذكرها ابن النديم
- استعانة خالد بن يزيد بن معاوية براهـب رومـى

يسمى ماريانس ليعلمه الكيمياء، وكـذا بأصـطفن القديم.

- ما نقله شوقى ضيف عن صاحب الفهرست وهوأنه رأى من كتب خالد بن يزيـد: كتـاب الحـرارات وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصـغير وكتاب وصيته فى الصنعة.
- أن سالما مولى هشام بن عبد الملك تـرجم بعـض رسائل لأرسطاليس؛ وهومذكور بنقل الـدواوين وإجادة اليونانية إلى جانب بلاغته.
- أن سالما نقل لهشام كتابا عن الفارسية يتحدث عن الدولة الساسانية ونظمها السياسية.
- وأن الرواة رووا أن ثياذوق طبيب الحجاج نظم فى علم الصحة قصيدة تناقلها الناس إلى عصـر بـن سينا..[٤٣].

---

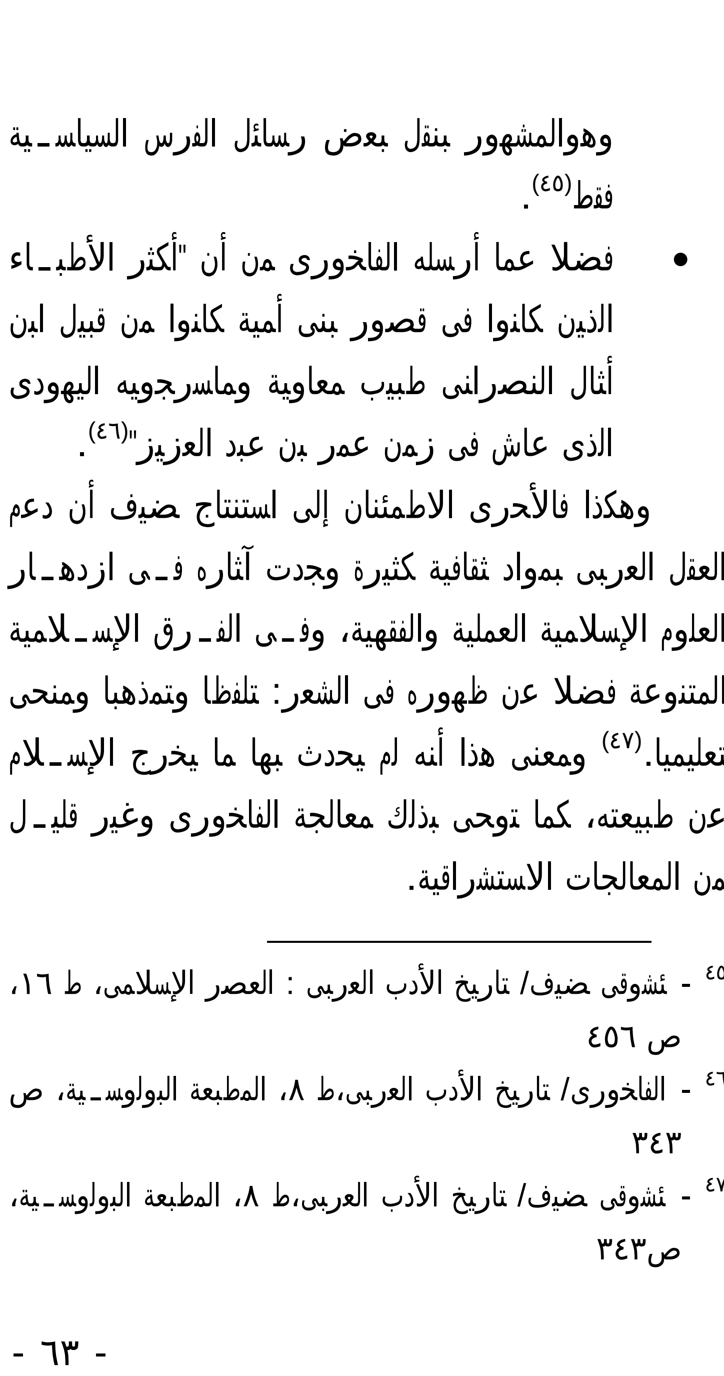
[٤٣] - ئشوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ٢٠٢، ٢٠٣

التعبير صدد خالد بن يزيد لدى الفاخورى: "كانت الكيمياء قليلة الأثـر فى عهد الأمويين؛ وقيل إن أول من تفرغ لها واشتغل فيها خالد بن

- ما أوردناه فى "المكتبات" من أن ابن جلجل ذكر أن ما سرجويه الطبيب البصرى فسر كتاب أهرون بن أعين القس إلى العربية (ترجمه)؛ ووجده عمر بـن عبد العزيز فى خزائن الكتب؛ فأمره بإخراجه وبثه فى الناس.
- وعن شوقى ضيف أن عمر بن عبد العزيـز أمـر ماسرجويه بنقل كتاب القس أهرون فـى الطـب، وهومذكور فى شعر الحكم بن عبدل الكوفى(٤٤).
- وأن عبد الحميد الكاتب نقل لهشام بن عبـد الملـك كتابا فى تاريخ الساسـانيين ونظمهـم السياسـية؛

يزيد بن معاوية. وكانت الكيمياء رائجة فى مدرسـة الإسـكندرية فاستدعى فاستدعى خالد مريانوس الكاهن المسيحى وطلب إليه أن يعلمه الطب وصناعة الكيمياء، ثم أمر بنقل كتب تلك الصناعة من اليونانية والقبطية إلى العربية. وكان خالد مغرما بعلم النجوم أيضا وقد أنفق المال الوفير فى طلب هذا العلم واستحضار آلاته"/ حنـا الفاخورى. / تاريخ الأدب العربى،ط ٨، المطبعة البولوسـية، ص ٣٤٣

٤٤ - ئشوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ٢٠٢، ٢٠٣



وهوالمشهور بنقل بعض رسائل الفرس السياسـية فقط[٤٥].

- فضلا عما أرسله الفاخورى من أن "أكثر الأطبـاء الذين كانوا فى قصور بنى أمية كانوا من قبيل ابن أثال النصرانى طبيب معاوية وماسرجويه اليهودى الذى عاش فى زمن عمر بن عبد العزيز"[٤٦].

وهكذا فالأحرى الاطمئنان إلى استنتاج ضيف أن دعم العقل العربى بمواد ثقافية كثيرة وجدت آثاره فـى ازدهـار العلوم الإسلامية العملية والفقهية، وفـى الفـرق الإسـلامية المتنوعة فضلا عن ظهوره فى الشعر: تلفظا وتمذهبا ومنحى تعليميا.[٤٧] ومعنى هذا أنه لم يحدث بها ما يخرج الإسـلام عن طبيعته، كما توحى بذلك معالجة الفاخورى وغير قليـل من المعالجات الاستشراقية.

---

[٤٥] - ئشوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى : العصر الإسلامى، ط ١٦، ص ٤٥٦

[٤٦] - الفاخورى/ تاريخ الأدب العربى،ط ٨، المطبعة البولوسـية، ص ٣٤٣

[٤٧] - ئشوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى،ط ٨، المطبعة البولوسـية، ص٣٤٣

العلوم الدينية

تفسيـــر القـــرآن

الرسول يفسر ويسمح:

في بادئ الأمر "كان الصحابة يرجعون إلـى النبـي ليفسر لهم بعض ما يتوقفون فيه". وتدل آية ﴿**وَأَنْزَلْنَـا إِلَيـكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[(٤٨)] في رأي ضيف "علـى أن الرسول كان يبين للناس الأحكام القرآنية : أمرا ونهيـا؛ فهوالمفسر الأول لأوامر ا ونواهيه"[(٤٩)].

كما تبين ضيف في قوله تعالى: "هوالذى أنزل عليـك الكتاب. منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشـابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنـة وابتغاء تأويله؛ وما يعلم تأويله إلا ا . والراسخون في العلم

---

[٤٨] - ى٤٤ - النحل

[٤٩] - شوقي ضيف/ تاريخ الأدب العربـي: العصـر الإسـلامي، دار المعارف، ط١٦، ص٢٨

يقولون آمنا بـه كـل مـن عنـد ربنـا، ومـا يـذكر إلا أولوالألباب"[٥٠].

تبين ضيف من الآية أنه سمح لأولـى العلـم بالـدين وأصوله من الصحابة أن يفسروا للناس آى الذكر الحكيم.

التقعيد الأخلاقى والتداولى (المعاملات):

خطبة الرسول فى حجة الوداع وثيقة جامعة فى ذلك، احتذاها الراشدون الذين مثلـت أقـوالهم بـدورهم شـروحا وتفصيلات وتطبيقات لأحكام القرآن وإرشاد السنة المشرفة. ومن قبيل ذلك معيار أخذ الحق من القوى للضعيف عند أبى بكر، ورسالة عمر بن الخطاب فى القضاء على ما ترد فـى المختارات.

عدت بحق وثيقة حضارية متقدمة فى أصول العدالـة أودستورا فى القضاء، تضمنت بعد البسملة:

- حكم القضاء وأهميته فى الإسلام
- المساواة فى مجلس القضاء
- فى البينة واليمين والصلح
- هل يرجع القاضى فى حكم ظهر له عكسه

---

[٥٠] - ى٧، آل عمران

- الاجتهاد ومنهجه فيما ليس فيه نص
- عدالة الشهود وجرحهم
- خلوص نية القاضى.

فى هذا العهد فسر الصحابة وقعد متقدموهم ومنهم من عد سلطة فتوى كعائشة أم المؤمنين، ومفتاح علم، وهـو على بن أبى طالب.

وفى العصر الأموى:

- رأى ضيف أنه تكونت فى كل بلدة إسلامية مدرسة دنية عنيت بتفسير الذكر الحكيم وروايـة الحـديث النبوى وتلقين الناس الفقه وشـئون التشـريع، وأن كثيرا من المتعلمين منهم حرصوا على تدوين مـا يسمعون:
- ذكر شهرة ابن عباس فى مكة بمحاضـراته فـى تفسير القرآن؛ حملها عنه أمثال مجاهـد وعطـاء وعلى بن طلحة؛ الذى روى أن لابن عباس صحيفة بمصر فى التفسير تستحق أن يرحل إليها[٥١].

---

[٥١] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص٤٥٣

- بل قد حمل عن ابن عباس كثير من التابعين أمثال مجاهد وعطاء وغيرهما وأنه يعد المؤسس الحقيقى لعلم التفسير: نهجه ووضع أصوله ورجع إلى أهل الكتاب فى قصص الأنبياء واعتمد الشعر القديم فى تفسير بعض الألفظ[٥٢].
- وقد نقل ضيف عن السـيوطى جمعـه ١٠ آلاف حديث من تفسير الصحابة، اشتهر منهم : "الأربعة الراشدون وابن مسعود وأبى بن كعب وزيـد بـن ثابت وأبوموسى الأشعرى وعبد ا بن الزبير وابن عباس".[٥٣]؛ كذا ذكر ضيف أن تفسـير الطبـرى الذى بين أيدينا يحمل تفسير ابن عباس وتفاسير كل معاصريه.[٥٤]؛ وأن منهم لأبى سندا فى الطبـرى كذلك.

---

٥٢ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص ٢٩

٥٣ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص ٢٩

٥٤ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص ٢٩ + ص ٤٥٣

- قال عاش ابن مسعود بعد أبى مدة طويلة كون فى أثنائها مدرسة فى الكوفة.. وسنده الجيد هوالسـدى الكبير عن مرة الهمذانى.
- كذا ذكر ضـيف عـن جولدتسـيهر لعـروة بـن الزبيركتب فقه احترقت؛كما ذكر عناية الشيعة بفقه أئمتهم من مثل سليم بن قيس الهلالى وزيـد بـن على[55].

---

[55] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص ٤٥٢، ٤٥٣

علم الحديث

جمع الحديث ـ منهجيـة (أمانـة وحيطـة) وتدوينا:-

من الأصول المستقرة أمانة فى جمع الحديث الشريف بدايات نوردها فى هذا العصر؛ على أنها ستكتمل علما برأسه باسم الجرح والتعديل فى العصر التالى.

- من قيم الأمانة فى التأصيل للجمع والتأليف قولـه تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسـق بنبـأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مـا فعلتم نادمين" [(٥٦)].
- وقوله صلى ا عليه وسلم: "نضر ا امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه؛ فرب مبلغ أوعـى مـن سامع"؛ أو"فرب حامل فقه إلى من هوأفقـه منـه، ورب حامل فقه ليس بفقيخه" [(٥٧)].
- وعن ابن سيرين لدى الطحان من نقله عن مقدمـة

---

[٥٦] - ى ٦ - الحجرات

[٥٧] - موثقا بالترمذى وأبوداوود وابن ماجة فى/محمود الطحان/ص ٨

صحيح مسلم: قول ابن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قـالوا: سـموا لنـا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

- وقد ظهرت قواعد تفصيلية لهذا العلم منذئذ وداخلت الفقه حتى قبل تدوينه.[٥٨]؛ وقد تنامى لجمع الحديث وضبطه وتحقيقه علم برأسه بين منتصف الثـانى" للهجرة وأوفى على الغاية فى النصف الأول مـن القرن الرابع الهجرى كما يلى فى العصر العباسى.

تدوين الحديث بين الاحتياط والإباحة:

ولئن كان عمر بن الخطاب رضى ا عنه – احتياطا منه – رجع عن تدون الحديث فى وقته لئلا يختلط بـالقرآن؛ فإن الصحابة كانوا قد وافقوه على تدوينـه وكـان أغلـبهم يؤدونه حفظاح ومن ثم لم يكن تدوينه ممتنعا تمامـا. وقـد استثنى الدكتور محمد كامل حسين "ما رواه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب العلم يقول: ما من أصحاب النبلى صلى ا عليه وسلم أكثر حديثا منى، إلا ما كان من عبد ا بن عمر،

[٥٨] - محمود الطحان/ نفسه ص ٨

فإنه كان يكتب ولا أكتب"[59]. وقال محمد كامـل حسـين: " وفى عهد عمر عمر بن العزيز كتب إلى الأمصار يعلمهـم السنن والفقه، وكان يكتب إلى علماء المدينة خاصة يسـألهم؛ كما أمر أبا بكر بن محمد بن حزم أن ينظر مـا كـان مـن حديث الرسول وسننه أوحديث عمر فيكتبه خوفا من ذهـاب الحفاظ؛ فكان هذا كله ابنداء تدوين الحديث"[٦٠].

وأومأنا فى آليات العلم اجتماع ثلة مـن أوائـل مـن صنفوا فى الحديث من جيل مالك حوالى العام ١٤٠هـ ـ لا يدرى أيهم أسبق تأليفا؛ وأحلنا على العلم نفسـه فـى بابعـه ببحثنا فى العباسى بعد.

السيرة والتاريخ :-

أوردنا فى سياق الباب الأول من الريادات فى التأريخ ضمن فترتنا بعض من كتبوا فى الأنساب ومنه كتـاب فـى الأنساب ألفه زياد بن أبيه(٥٣٠هـ)؛ وآخر فـى الأنسـاب أيضا لدغْفَل بن حنظلة السدوسى (٧٠ هـ) محدث معاويـة كما ذكرنا.

---

[59] - محمد كامل حسين تقديمه، موطأ مالك، ط الشعب، ص ٢٦

[٦٠] - محمد كامل حسين تقديمه، موطأ مالك، ط الشعب، ص ٢٦

***من نتمة ذلكما :**

- أن معاوية استقدم إلى مجالسه عبيـد يـن شَـرية الجرهمى اليمنى ليحدثه مما ألف مادة كتابه "أخبار الأمم الماضية" فى أسلوب حوارى أيضـا يسـتهل بأخبار عاد ولقمان وثمود وغيـرهم ‘لـى هجـرة جرهم من اليمن وأخبار تبع‘ لـى مملكـة طسـم وجديس؛ وتتخلله أشعار كثيرة.
- من نمطه فى رأى شوقى ضيف كتـاب "التيجـان" لوهب بن منبه عن ملوك حمير والقرون الغـابرة إلى كتب أخرى لوهب ابن منبه يوصـف بعضـها بكثرة الخرافات ككتاب "المبتدأ فى الأمم الخاليـة"؛ كما أن له فـى الإسـرائيليات كتـاب نقـل عنـه المفسرون وكتابات فى مكتبة الإسكندرية بعنـوان "قصص الأنبياء"؛ فضلا عن المذكور له من كتاب القدر.
- من كتب التاريخ المذكورة كذلكما هولأهل الكتـب السماوية مثل كعب الأحبار ٣٢٠هـ) ، وهـومن يهود اليمن؛ وكان قد أسلم، وله فى مطبعة بـولاق

فى ق ذ٩ كتاب " حديث ذى الكفل"

- مدونات التاريخ المبكـرة كـذلك تـدوين القبائـل أخبارهـا وأشـعارها فـى الجاهليـة، صـنيع الأرستقراطية العربية فى الكوفة مما وفر للـرواة من أمثال حماد (الراوية) مادة غزيرة.

السيرة النبوية خاصة:-

أما فى السيرة النبوية فرغم وقوع السيرة عند علميهـا ابن هشام وابن اسحاق فى العصر اللاحق؛ فإن حظ عصـر الصدر وبنى أمية حظى بمؤلفات عديـدة فيهـا وإن تكـن أصغر؛ ولعلها كانت الأساس للسيرتين الكبيرتين بعد.

والحق أن عناية العرب بحفظ سيرهم وأنسابهم كبيرة؛ كما أوردنا فى العصر الجاهلى. فلما جاء الإسـلام وحـض على التعلم والاستدلال بالواقع وبالقرون الأولـى وعممـت القراءة والكتابة وغير ذلك نشط التأليف التدوين بمـا فيـه تدوين تاريخ الإسلام نفسه بدءا بسيرة النبى وأخباره وأخبار الصحابة؛ وما يداخل ذلك بالضرورة من أحداث وتطـورات ومرويات ومحصلات.

فى بادئ الأمر غلبت الشفاهية على تـاريخ الـدعوة خلافا للقرآن والحديث اللذين أوليا العناية متـزامنين روايـة ومتعاقبين تدوينا؛ وإن فى زمن متقارب. شـغل المسـلمون بذين وبالجهاد ومكثوا يتناولون الأخبار شفاهة إلى أن التفـت إلى التدوين فى ذلك فريق من التابعين معتمدين على سـؤال من شاهدوا الغزوات وصحبوا الأحداث؛ ولم يكن ينقصـهم الأساس القيمى للصدق والتثبت من الروايات بحسب ما ذكرنا فى علم الحديث.

والحق أن أول كتاب ظهرت فيـه لمحـات تاريخيـة هوالقرآن الكريم فيما ضرب من أمثال فى الأمم البائدة وفيما قص من قَصص بفتح القاف) الأنبياء والأجيال الغابرة بمـا فيها من عرب بائدة. وهوقصص له ما يصدقه : سواء فـى ذاكرة العرب أوفيما يثبت منه فى الكتب المقدسـة السـابقة أوفى طبيعـة صـياغته الإعجازيـة الشـادهة؛ التوقيفيـة بالاصطلاح الدينى.

أسلوب تدوين السيرة:

استثناء للمرويات عما لم يشاهد قبل البعثة فإن أسلوب تدوين السيرة اتسم بالإخبارية التسجيلية غالبا: الإخبارية فيما

سبق ميلاد النبى صلى ا عليه وسلم متصلا بـ "أحـداث وقعت وورد ذكرها فى ثنايا حديث النسابين".، والتسجيلية فى المشاهد الموثق عدولا عن عدول؛ مما جعل " التسجيل" فـى مجمله؛خلافا لما يجوز الاختلاف فيه من " المنسـوب"غيـر أصم؛ تحس فيه تحقيق الرواية وحـرارة الواقـع ومباشـرة التناول؛ وإن غلبت عليه الشفاهية لانشغال الصحابة بـالقرآن وبالجهاد وبالفتوح كما ذكرنا إلى أن التفت إلى التدوين فـى ذلك فريق من التابعين معتمدين على سـؤال مـن شـاهدوا الغزوات وصحبوا الأحـداث : دراماتيكيـة حيـة تنـبض أوإعجازية قولية باقية الدليل كما فى القـرآن؛ فضـلا عـن متفرق إعجازية حسية شوهدت كما روى؛ ولم تعد السـبيل الوحيد للإقناع لكون الرسالة غير وقتية خلافا لغيرهـا مـن الرسالات العظيمة.

أما أول كتاب فى العربية ظهر وفيه لمحات تاريخيـة فهوالقرآن الكريم، وقد تجلى ذلك فى استخراج العبـرة مـن بعض الحوادث التى وردت فى آيات ا البينات" [٦١]؛ وكثيرا ما ترد أخبار الحوادث فى مضمون قصة بالغة الحتمية نظما

---

[٦١] - ابن هشام السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، ٢، ص

(توقيفية) معجزة؛ مما يصـلح اسـتدلالا بالمشـهود علـى الغائب[٦٢]، وطريق ما صدق ميتافيزيقى.

على أن جمع السيرة قد واكب جمع القـرآن الكـريم وتفسيره كما واكب جمع الحديث الشريف [٦٣]. ومـن بـين الأسماء الكثيرة التى عنيت بكتابة السـيرة وجمعهـا ذكـر المقدم) ثلاثة عشر رائدا منهم:

- عروة بن الزبير بن العوام (٩٣هـ).
- أبان بن عثمان بن عفام (١٠٥هـ ـ).
- شرحبيل بن سعد (١٢٣هـ).
- ابن شهاب الزهرى (١٢٤هـ فى كتابه المغازى
- عبد ا بن أبى بكر بن حزم ١٣٥٠هـ).
- موسى بن عقبة (١٤١هـ).
- معمر بن راشد (١٥٠هـ).
- محمد بن اسحاق بن يسـار ١٥١هـ ـ) صـاحب

---

٦٢ - عبد الحكيم العبد/ فى محاولات تقديم القرآن وترجمتـه والـرد عليها: عرض وتقييم وتقويم، يناير ٢٠٠٥م – ذوالقعدة ١٤٢٥هـ ص ١٠٧

٦٣ - ابن هشام السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، ٢، ص أ

السيرة الأسبق، اكتشف وحقق منها جزء.

غيرهم أدخل فى العصر العباسى :-

- زياد بن عبد ا البكائى (١٨٣هـ)
- الواقدى ٠٢٠٧هـ) صاحب كتاب المغازى
- محمد بن سعد (٢٣٠هـ)، صاحب كتاب الطبقات
- السهيلى (٥٨١هـ)
- الخشنى (٦٠٤هـ)
- ابن اسحاق محمد بن يسار المتوفى (٠١٥١هـ).
- ابن هشام (٠٢١٣هـ) [٦٤].

وقد أومأت إلى أنه يمكن اعتبار السيرة النبوية فى معرضها عند ابن هشام مثلا سجلا ذا ثلاث طبائع:

أ- طبيعة روائية قد تكون أوتداخلها الحكوية فى حدود المروى عما سبق ميلاد صاحب الرسالة الكريم.

ب- طبيعة تسجيلية يفترض ألا يختلف فيها.

---

٦٤ - ابن هشام السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، ٢، ص ب

- وقبله ابن اسحاق: محمد بن اسحاق بن يسار (٨٥-١٥١هـ) صاحب السيرة، الذى أخذ عنه ابن هشام : أبومحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى(٢١٣ أو٢١٨هـ)

ج- طبيعة تسجيلية يفترض ألا يختلف فيها ولها انتساب إلى المعجزات المحسة كما فى الديانات السابقة؛ ولكن الدين نفسه لا يعدها الحاتم الأساس للإيمان.

د- طبيعة إعجازية قولية باقية تتمثل فى نظم القرآن لمن عقله قبل من طرب له وانعطف فحسب.

من التسجيلى "المنتمى إلى "يفترض.. ولكن.." فى (ج) ما يمكن استقصاؤه من معجزات النبى الإخبارية والحسية المنتمية إلى التأريخى المشهود، أضفت منها عشرة فى ترجمة "محمد بن عبد ا صلى ا عليه وسلم" ومنها:

- نطقه بالقرآن دونما مقدمات إبداعية أوتعلمية.
- وكما فى تحول "جذل" وهوأصل شجرة أعطاه الرسول لعكاشة بن محصن : إلى سيف طويل القامة شديد المتن" فى بدر[٦٥].
- وكما فى إسلام عمر بدعوته ا فيه.
- وكما فى تبشير القرآن بنصر ا للروم فى ذات وقت هزيمتهم وتحقق ذلك فى بضع سنين بصريح

---

[٦٥] - ابن هشام السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، ٢، ص ١٩٨

قول القرآن الكريم.

هذا إلى نص القرآن نفسه الذى يثبت إعجـازه دوامـا بالدرس النصى المباشر حتى مع الاستغناء عن الخبر؛ على نحوما فرقت الدراسات البلاغية المحتفية بالإعجـاز طيلـة العصر العباسى على الأقل : بين حقيقة الإعجاز كمـا عنـد عبد القاهر بمعنى ثبوت تعجيزه العرب إبان نزولـه؛ وبـين طبيعته[٦٦] التى ما زال يتعاقب علـى اسـتكناهها دارسـون بيانيون وحتى علميون مادون.

---

٦٦ - عبد الحكيم العبد/ النقد البلاغـى العربـى عنـد عبـد القـاهر الجرجانى: تبيان وعرض ومناقشة فى أنساق منهجية حديثـة، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٩٢م، ص ٦٦ - ٧٠

الفصل الثانى

- الآداب
- النثر
- الشعر

أولاً ـ النثـر

تطور وأنواع النثر

(الإيجازى والمسهب)

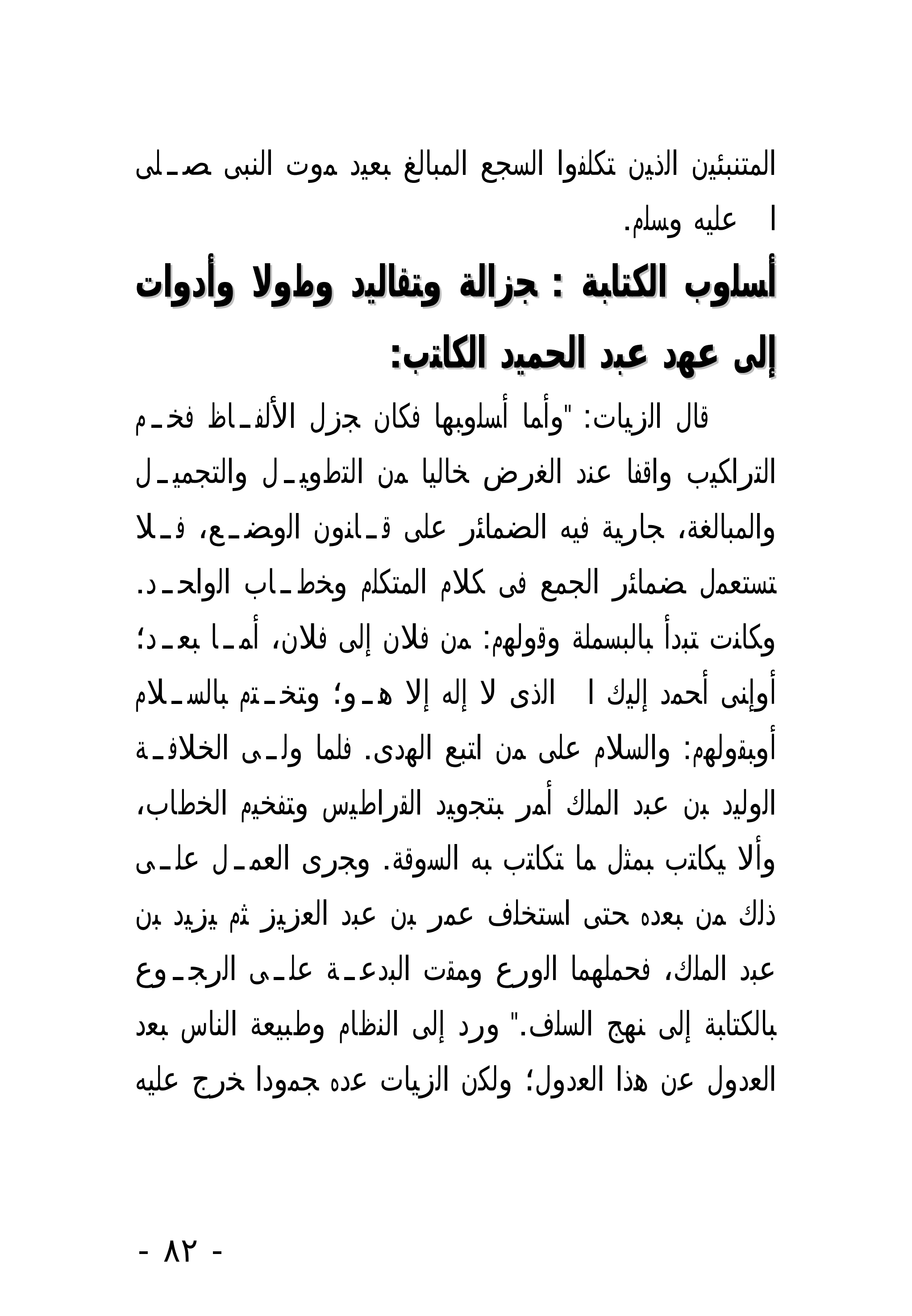
من نثر الجاهلية إلى نثر الإسلام:

تطور النثر فى الإسلام وبه تطورا واسـعا؛ فصـار وجادة بعد ما ظل مشافهة وصحف مناسـبات، متجـاوزا الأغراض الأولى التى قد تطول نوعا فى الخطابة والشـعر ولكنها تقصر فىالأقوال المتناثرة والمنافرات القبلية المفاخرة بالأبناء والأحساب والأنساب [٦٧] وفـى أسـجاع الحكمـاء الموقعة وأسجاع الكهان المتكلفة [٦٨]؛ فضلا عـن أسـجاع

---

[٦٧] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٠٦-١٠٧

[٦٨] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١١٤



المتنبئين الذين تكلفوا السجع المبالغ بعيد موت النبى صـلى
ا عليه وسلم.

أسلوب الكتابة : جزالة وتقاليد وطولا وأدوات إلى عهد عبد الحميد الكاتب:

قال الزيات: "وأما أسلوبها فكان جزل الألفـاظ فخـم التراكيب واقفا عند الغرض خاليا من التطويـل والتجميـل والمبالغة، جارية فيه الضمائر على قـانون الوضـع، فـلا تستعمل ضمائر الجمع فى كلام المتكلم وخطـاب الواحـد. وكانت تبدأ بالبسملة وقولهم: من فلان إلى فلان، أمـا بعـد؛ أوإنى أحمد إليك ا الذى لا إله إلا هـو؛ وتختـتم بالسـلام أوبقولهم: والسلام على من اتبع الهدى. فلما ولـى الخلافـة الوليد بن عبد الملك أمر بتجويد القراطيس وتفخيم الخطاب، وألا يكاتب بمثل ما تكاتب به السوقة. وجرى العمـل علـى ذلك من بعده حتى استخلاف عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك، فحملهما الورع ومقت البدعـة علـى الرجـوع بالكتابة إلى نهج السلف." ورد إلى النظام وطبيعة الناس بعد العدول عن هذا العدول؛ ولكن الزيات عده جمودا خرج عليه

عبد الحميد؛ قال: "فجاء.. فأسهب فى الرسائل ونمقها ورققها وأطال التحميدات فى أولها، وتبعه فى ذلك سائر الكتاب"[٦٩].

النثر الفنى فى مداخلتنا بين مـؤرخ متـنقص وآخر متعاطف وثالث مستوعب:

رأى الفاخورى: النثر الفنى عند العرب: " هوما حوى أفكارا منظمة(يقصد ولابد فى خطة أومنهج) فـى عـرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الأسـلوب. وقـد ذهب مؤرخوالأدب فى تحديد تاريخ ظهور النثر الفنى عنـد العرب مذاهب متباينة؛ فقال بعضهم إنه ظهر قبـل القـرآن بقليل وصاحب ظهور القرآن ثم نما وازدهر إلى أن أقره عبد الحميد الكاتب وابن المقفع، وقال البعض الآخـر إن النثـر الفنى لم يعرف عند العـرب إلا مـع عبـد الحميـد وابـن المقفع"[٧٠].

قال: "والذى لا شك فيه أنه لم يؤثر عن الجاهلية نثـر فنى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة؛ فقد بدأ النثر العربـى علـى

---

٦٩ - الزيات، نفسه، ص١٩٧

٧٠ - حنا الفاخورى (مع مداخلات منا) / تـاريخ الأدب العربـى، ط البولوسية، ص ٣١٦، ٣١٧

منهج الساميين الأقدمين فى الكتابة، جاريا على غير نـُظـُم وقواعد، متبعا أساليب الكلام غير مقيد برابط يرسل جمـلا مقطعة تعبر عن الأفكار فى قوالب تشبه الحكـم والأمثـال أوتشبه الأحكام القاطعة من غير ما تفصـيل ولا تحليـل ولا شرح ولا برهان طويل فى لفظ وجيز برىء مـن الصـنعة المقصودة؛ اللهم إلا ما هنالك مما يخرجه مخرجا يسهل معه الحفظ والتناقل، كأن يكون فيه بعـض السـجع والتـزاوج. (بعض السجع فقط؛ وإلا فى رأينا فقد أتخم بالسجع فى "سجع الكهان" وقيد الإسلام جيده بالسجعتين لا أزيد فى الغالـب). وخطابة الجاهلين وإن لم تدون قبل فن من النثر لا يشق لـه غبار).

وقال:"ولما جاء الإسلام بفتوحاته ازداد النثـر توسـعا وعمد إلى الصنعة ولكن فى اقتصاد كثير؛ لا بل غاب عليـه الطبع وكان يقصد فيه إلى توضيح الفكـرة بأيسـر عبـارة وأقرب طريق وكانت قاعدة البلاغة فيه الإيجاز فاتسم النثـر من ثم بسمة الإيجاز وكان شديد الصلة بالنثر القديم من هـذا القبيل" (وهوقول لا يلتفت إلى ما قبل الفتوح من تطور فـى أسلوبية التعبير ومحتواه فى عهد النبـى وجيـل الصـحابة؛

ويقفز إلى الفتوح؛ فضلا عن أنه لا يلتفت إلـى مسـتويات البلاغة العربية الخاصة : إيجازا وإطنابا وقصرا (أى مساواة بين اللفظ والمعنى) كما حصل فى علم المعانى العربى أحـد أوقسم من علوم أوعلم البلاغة بمعناه الشامل عند البصيرين).

وسيتفق الزيات مع الفاخورى فى هذا القصـور فـى معنى الإيجاز؛ ولكنه لن يتجاهل مثله تطور النثر مع الزمن والفتوح ولا فضل الدين ودور الخلفاء وملكة السلف القوليـة الكتابية، يعدها فى جملة أساليب الساميين.[71] قال : "وجملـة القول :إن النثر فى أربعين سنة خطا فى سبيل الكمال بفضل الدين والفتوح خطوة واسعة فانتقل من السـجعات القصـيرة المفككة والمعانى العامة المجملة إلى.. الأسلوب المحكم الفِقَر المطرد السياق المختلف الغرض العميق الأثر؛ كما ترى فى رسائل الإمام على وخطبه. وهوتقدم سريع لم يظفـر بمثلـه

---

[71] - راجع مثلا "فصل فى كتبه صلى ا عليه وسـلم إلـى الملـوك" وفصل فى كنابه صلى ا عليه وسلم"" بزاد المعاد فى هدى خيـر العباد لابن قيم الجوزية، ط ١٩٥١، ص ٦٠، ٥٩

الشعر.[72] لم يقل إلى متى، ونضيف أنه تطور فـى الفنـين بإدخال المستعربين أنماطا من كتاباتهم هم أيضا.

باحثنا الـذى نشـعر أنـه حظـى بجـائزة التوفيـق والاستيعاب هوالدكتور شوقى ضيف:

زبدة رأى ضيف أن الكتابة أخذت منـذ هـذا العهـد تستخدم على نطاق واسع – لا فى كتابة القرآن فحسب – بل فى كل ما يهم المسلمين فى معاملاتهم وعقودهم؛ فضلا عن العهود والمواثيق البالغة الحجية للرسول والصحابة والخلفاء بعد.[73] بهذا حفظت تعاليم الدين الحنيف وكل ما أقامه لعلاج الجماعة الإسلامية وسعادتها وكل ما فارضـه مـن معـان إنسانية فى معاملة من يدخلون فـى لوائـه وفـى ذمـة ا وعهده[74].

---

[72] - الزيات، نفسه، ص ١٩٧

[73] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٠

[74] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٢ ف١

ذكر تنويه الإسلام بالكتابة وحضه عليها وعمل النبـى الجاهد لنشرها بناء على ذلك وذكر التوسل بها لحفظ القرآن ونشره كما ذكر المعروف مـن كتـاب الـوحى والحـوائج والعهود وما إلى ذلك فى عهد النبى؛ ونوه بجمع محمد حميد الدينالحيدر آبادى وتوثيقه لـ "مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة".

وقف ضيف عند الكتاب الذى كتبه الرسول بين يـدى المهاجرين والأنصار واليهود لأهميته كوثيقة جامعة ولدلالته على تطور النثر الكتابى عن العرب آنـذاك إلـى مسـتوى الدستور الرصين الجامع(٧٥).

كذا وقف على المعاهدة التى كتبها الرسول بينه وبـين قريش عام الحديبية، وعلى كتاب النبى إلى يهود خيبر وقسمة أموالها. هذا إلى متوالى كتـب النبـى للملـوك والأسـاقفة والأمراء الذين أبقاهم(٧٦)؛ ولمن يرسل بهم معلمين أوعمـالا

---

٧٥ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٠

٧٦ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣١

كعامله على اليمن[77]. وكذا للقبائل ولاسيما معاهدة النبى مع أهل نجران.

قال الباحث ك الأمر الذى احتذاه الخلفاء؛ وذكر بعـث أبى بكر بكتاب مفتوح مع قادة محاربى الردة، وبكتـب فـى نفس معانيه لأمراء الأجناد: استيصـاء بالمسـلمين وحسـن صحبة ولين قول.، اعتصاما وكفا وتحـذيرا حتـى رئـب الصدع. إلى نحوذلك لأمراء الأجناد فى الفتوح، ككتابه إلـى خالد بن الوليد وكعهده لعمر بعده[78].

وإزاء عهد عمر نوه المؤلف أيضا بمراسلات عمـر لأمرائه فى كل ما يهم : تنظيما ومعاملات وعهودا من قبيل عهده لأهل إيلياء[79]. الذى احتذى فيه عهد النبى لنصـارى نجران؛ وكعهد عمر لولاته تأسيا بوصايا النبى لعماله. وأورد رسالة عمر إلى أبى موسى الأشعرى وليه علـى البصـرة.

---

77 - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٢

78 - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٢، ف٢

79 - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٣

وكذلك نوه بعهود أمراء الأجناد للبلاد المفتوحة فـى إيـران والشام ومصر[80].

اعتبر الباحث عهد عمر عهدا أصبحت فيـه الكتابـة المتأسية بكتابات الرسول جزءا أساسيا فى أعمـال الدولـة ولاسيما مع كثرة هذه الكتابات ومـا تتضـمنه مـن تعـاليم ومراسم وتفاصيل علاقات وأنظمة وشعوب: استقاء وقياسـا واجتهادا. – قال: نال بكل ذلك النثر كل ما كان ينتظره زمن الخلفاء الراشدين من تطور ونهوض[81].

الانتقال مـن النثـر الإيجـازى إلـى النثـر التفصيلى:-

للقصر والطول صلة بمقام القول والتأثر أوالظـروف وبتطور الذوق مع المجتمع من البساطة إلى رفه الحضارة.

من علامات تطور النثر من الوجازة إلى الخِلابة إلـى الزخرفة إلى الإسهاب من بين كتاب الدواوين:

---

[80] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٢

[81] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف ، ط ١٦، ص ١٣٥

عبد ا بن أوس الغسانى – عمروبن نـافع – روح ابن زنباع الجذامى - أبوالعلاء سالم – عبد الحميد الكاتب:

فقد ظهر استحبابهم القصر فى الكتابة : فـى رسـالة لعبيد ا بن أوس الغسانى على لسان يزيد إلى عبيد ا بـن زياد، استعدادا لحرب الحسين بن على بالعراق(٨٢).

أما أول من أطال فيها قصدا إلى خلـب ألبـاب مـن يقرءونهم. كما يقول شوقى ضيف فعمروبن نافع كاتب عبيد ا بن زياد. وهوطول دل ناقدنا على على توجه الكتاب فى هذه المرحلة إلى التفنن؛ وإن نقصه عندئذ الترتيب(٨٣).

أما مظهر الزخرفة فى الميل إلى التقسـيم والإطنـاب والترادف وهى سمات فارسية مترفة فلدى روح بن زنبـاع الجذامى كاتب عبد الملك بن مروان. وصفه عبد الملك بأنـه فارسى الكتابة. لاحظ ضيف هذا مع كونه لم يؤثر عن ابـن

---

٨٢ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص ٤٦٧

٨٣ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط١٦، ص ٤٦٧

زنباع إلا سطور فى استعطاف معاوية؛ وقلـة السـطور لا تمنع من تبين هذه الصفات فى الرسالة. تقول:

"لا تشمتن بى عدوا أنت وقمته (قهرته) ولا تسوءن بى صديقا أنت سررته ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته. هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلى وإساءتى."

وقد يكون أول من ظهر تفوقه فـى صـناعة الكتابـة التفصيلية (الأقرب إلى الموضوعية بتعبيرنا؛ بعـد مراحـل أودلائل الخلابة والزخرفة) أبوالعلاء سالم، مولى هشام بـن عبد الملك، الذى كان يجيد العربية واليونانية، ثم تلميذه عبـد الحميد بن يحيى الذى نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربيـة وصار إمام هذه الصناعة حتى لقب بـ "الكاتـب".. وحتـى قيل: "بدئت الكتابة بعبد الحميد"[(٨٤)].

ومع ذلك جعل عبد الحميد الكاتب سببا أوعلامة علـى توجه النثر إلى التفصيل أوالإسهاب (رسائل طويلة). حفـز إلى ذلك "ما كان للدولة من حاجات إلى تفصـيل الرسـائل وإيضاح العهود فوسعوا نطاق النثر وأذلـوه لكـل الأفكـار

---

[٨٤] - حنا الفاخورى، نفسه

والمعانى فى تفصيل أجزائها وترابط عناصرها، فى اتحـاد أصولها وتشعب فروعها، وهيؤوه للتصنيف بجميع أنواعه.

بعيد ذلك أخذ الكتاب "يحتفلون بالكتابة احتفالا شـديدا وكانوا لا يستطيعون أن يصبحوا كتابا إلا إذا أظهروا تفننـا وابتكارا وبلاغة وبيانا، فتدرجت الكتابة علـى أيـديهم فـى التأنق وأساليب البيان والصنعة والإطناب؛ فكانت الظـاهرة الأولى : الطول.. وما فيه من صنعة فى بسط التعبير ومده، ثم العناية باختيار اللفظ اختيارا لا يخلومن مبالغة، والعنايـة بالأسلوب للملاءمة بين ألفاظه ملاءمة لا تخـرج بـه إلـى ضروب من الترادف الصوتى"[85].

ولعل هذا لا يتعارض مع مجمل ما نعت به الزيـات نفس الكتابة: بلاغة وسماحة – نموا ومدرسية ونـواميس : جزالة وتقاليد وطولا وأدوات إلى عهد عبد الحميد الكاتب -

كذلك لخصوا تعدد الكتابة كيفيا فى ذلك العهـد أنواعا: ترسلا وتصنيفا:

- من الترسل : الرسائل السياسية الصادرة عن ديوان

---

[85] - حنا الفاخورى، نفسه

الرسائل؛ والإخوانية فى العتاب والشوق والشـكر والتهنئة؛ وما إلى ذلك مما لـم تعهـده قبـل هـذا العصر.

- من الترسل أيضا آخر هذا العهد وفيما بعده أبحاث طويلة فى شتى الموضوعات؛ وإن تضـمن أولهـا مقدمة إلى شخص أوما أشبه رسائل الوجائز الأولى وحسب. وهوما سيتحول فى العصر العباسى عنـد الجاحظ أوالجرجانى النحـوى البلاغـى رياضـة أوسوس طبع ومقياس شوط قريحة عده الجرجانى فى أول سلم البلاغة [٨٦].

من التصنيف فى العهد الراشدى والأموى أيضـا مـا نزع إلى التأريخ، وهوملحوظ فـى قائمـة ضـمت مجمـل موضوعات التأليف فى الباب الأول؛ وإن كانت تلك الكتابات

---

[٨٦] - عبد الحكيم العبد/ النقد البلاغـى العربـى عنـد عبـد القـاهر الجرجانى: تبيان وعرض ومناقشة فى أنساق منهجية حديثـة، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشـر، ١٩٩٢م، ص ١٥٩ + ص ٢٢٩

لم تبلغ من الفن ما بلغته الرسائل؛ وأضيف: أوالتاريخ الأدبى بالمعنى الحديث.

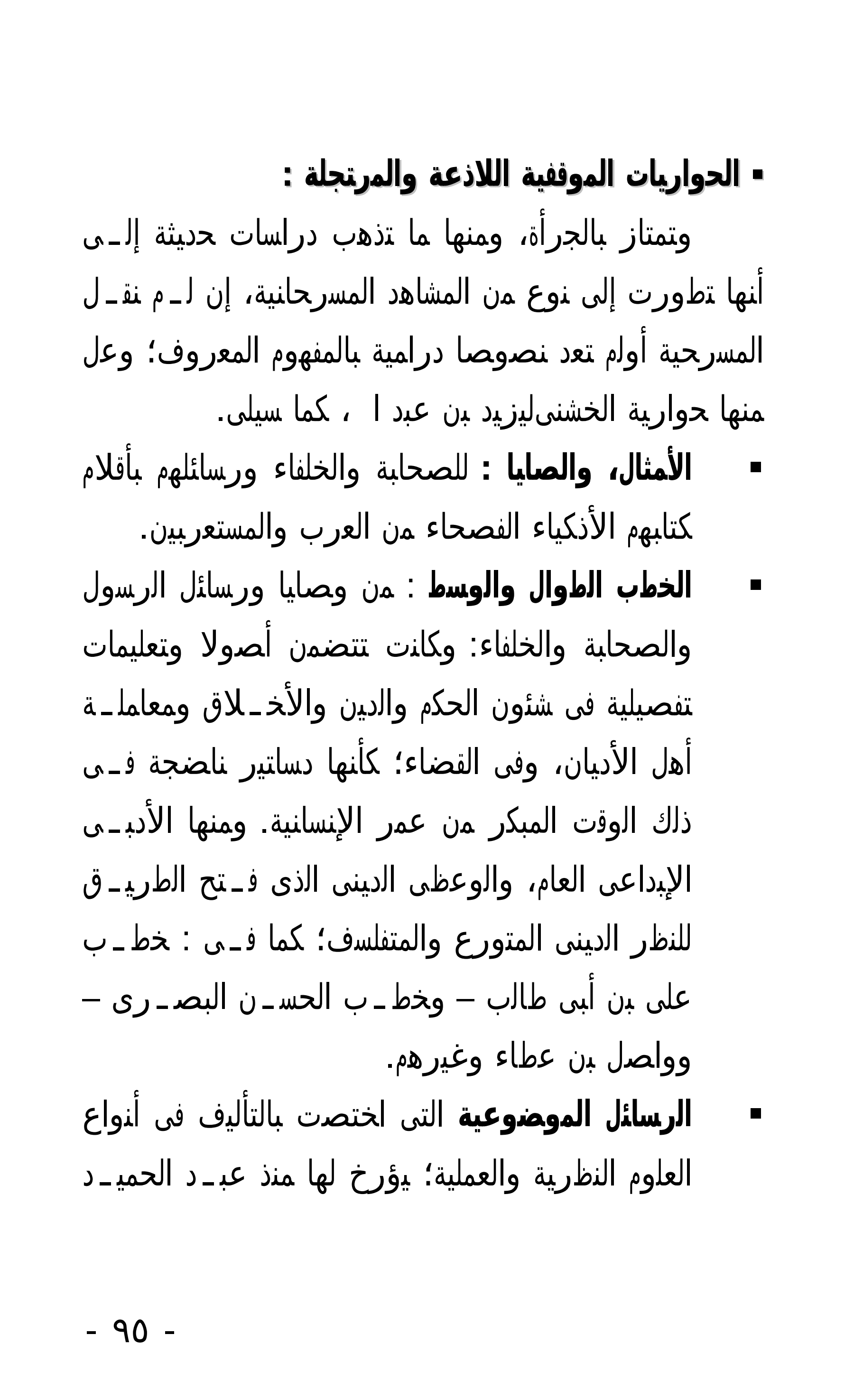
يمكننا تصنيف النثر الفنى (الذى هوأقوال وكتابات علا مستوى الفكر والبلاغة فيها إلى مستوى التـأليف والإبـداع) كالتالى:

- **أحاديث ورسائل تعددت**.. دينية وسياسية "ولكنها لبثت فى أول أمرها إيجازية، "وكانت تنزع منزع الخطـب وتخلومن التحبير الفنى والتنميق"[87] ورائدها الأقـرب رسائل الرسول صلى ا عليه وسلم مقتصدة الطـول، متنوعة الأغراض فى فصاحة وجلال وبلاغة ومنهـا رسائله إلى الملوك والأمراء.
- **التوقيعات: و**هى توجيهات بليغة على ألسنة الخلفاء فى أغراض شتى. "ظهرت فى صدر الإسلام وازدهـرت فى عصر بنى أمية، وكانت فى البلاغة والإيجاز"[88].

---

[87] - بتصرف على الفاخورى، نفسه ص ٣٣٠ - ٣٣٥

[88] - بتصرف على الفاخورى، نفسه ص ٣٣٠ - ٣٣٥



▪ **الحواريات الموقفية اللاذعة والمرتجلة :**

وتمتاز بالجرأة، ومنها ما تذهب دراسات حديثة إلـى أنها تطورت إلى نوع من المشاهد المسرحانية، إن لـم نقـل المسرحية أولم تعد نصوصا درامية بالمفهوم المعروف؛ وعل منها حوارية الخشنىليزيد بن عبد ا ، كما سيلى.

- **الأمثال، والصايا :** للصحابة والخلفاء ورسائلهم بأقلام كتابهم الأذكياء الفصحاء من العرب والمستعربين.
- **الخطب الطوال والوسط** : من وصايا ورسائل الرسول والصحابة والخلفاء: وكانت تتضمن أصولا وتعليمات تفصيلية فى شئون الحكم والدين والأخـلاق ومعاملـة أهل الأديان، وفى القضاء؛ كأنها دساتير ناضجة فـى ذلك الوقت المبكر من عمر الإنسانية. ومنها الأدبـى الإبداعى العام، والوعظى الدينى الذى فـتح الطريـق للنظر الدينى المتورع والمتفلسف؛ كما فـى : خطـب على بن أبى طالب – وخطـب الحسـن البصـرى – وواصل بن عطاء وغيرهم.
- **الرسائل الموضوعية** التى اختصت بالتأليف فى أنواع العلوم النظرية والعملية؛ يؤرخ لها منذ عبـد الحميـد

الكاتب؛ كالرسائل فى الحرب والأسـلحة والحيـوان ووصف البلدان.

- **فصول فى الأدب والأخلاق**: منها وخلال بعضها ألفت قيم وأخلاق وعلوم: كالتأتى للشعب وللنصحاء، وفـى أصول الصداقة والعدالة؛ فضلا عـن المـذكور مـن المؤلف فى الموسيقى عن يونس المغنى.
- **ما روى ودون مـن متكـاثر القصـص** والعلاقـات العاطفية والفنية التى حفظها التدوين:

كالذى روى عن الشعراء والمغنـين الـذين أترفـوا المجتمع الإسلامى وعظم شأنهم فى العصـر الأمـوى فـى المدينة ومكة خاصة؛ وفى البوادى، حيث الغـزل العـذرى بأفكوراته (تيماته) الواقعية أوالخيالية، عند كل من العـذريين والصرحاء، والموسومين بالعذرية حتـى مـن الصـعاليك أوالمختلف فيهم، كتوبة بن الجمير.

فنون النثر عصر الصدر وأمية الخطابة :-

الخطابة الممثلة للإسلام حقا هى تلـك التـى اتخـذها الرسول أداة للدعوة ثلاثة عشر عاما بمكة، داعيـا بالحكمـة والموعظة الحسنة، محاولا بكـل بكـل طاقتـه أن يـوقظ

ضميرهم، بما يصور لهم من قوة الكـائن الأعلـى(مـدبرا) ومنظما للكون، حكيما فى خلقه للناس؛ وليستشعروا كل مـا يمكن من الكمالات الروحية والاجتماعية والإنسانية، حتـى تتم لهم السعادة فى الدنيا والآخرة[89].

صار لها موضوع واضح يصول فيه الخطيب ويجول، فتق الرسول معانيها ووسع جنباتها. وفى أخباره ﷺ أنه كان يطيل الخطبة أحيانا إلى ساعات؛ ومما يعد من أوسطها طولا خطبتاه لدى دخوله مكة وفى حجة الوداع؛ وهما كما يقـول شوقى ضيف "تصوران فى دقة حسن منطق الرسـول فـى خطابته؛ سار فيها على هدى القرآن الكريم، لا يستعين فيهـا بسجع ولا بلفظ غريب.. يبلغ بعفوه وقوى فطرته ما تنقطـع دونه رقاب البلغاء".وقد ظلت مادة وحـذوا للخطبـاء مـن بعده.[90].

---

[89] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٠٦

[90] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١١٥،١٢١، ١١٤

وفى الذروة من الفصاحة من أصحاب رسول ا   عـد أبوبكر وعمر حسمت بها وبأخلاقهم المواقف فى السقيفة وفى حرب الردة والفتوح وفى فتنة عثمان ومعارك علـى التـى ولدت المناظرات الشفوية مـن الخطابـة؛ ومـع أصـحاب الدعوات المختلفة فى الجزيرة وخارجها[٩١].

وعنهم وعن بلاغة الرسول أخذ سائر الخلفاء والـولاة والقواد والثوار والكتاب؛ وللرسول وخلفائـه ومـن بعـدهم نماذج نثرية شتى أخرى كالتوقيعات والرسائل وكثيـر مـن الخطب والرسائل تعد مصادر دائمة القيمة : دساتير وحكمـا وفنونا قولية وأخلاقا.

دعم الدين الجديد الخطابة وشـغلها بدعوتـه ودولتـه وأخلاقه واهتماته كما دعمها توحيد الأمة وفتح البلاد وتجالد الأحزاب والعصبيات بها بحيث كانت أداة لها أولوية علـى السيف الجاهلى، وإن لم تمنع منه تماما.

عد العراق مسرحها الأبرز إبان احتدام الخلاف بعـد مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان،ثم ادى بسط ولاة الأمويين

---

٩١ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٢١

النفوذ فيه مع غضبه على بنى أمية؛ وهومما أدى إلى انتقال الخلافة عباسية إليه منذ ١٣٢هـ.

تنوعت أغراضها بين دينية وحزبية وحربية، وكانـت تتدفق حياة وتكثر فيها أساليب الموادعـة والتهديـد وربمـا التهويل من غير خروج عن الإيجاز. وقد اشتهر من الخطباء على بن أبى طالب وزياد بن أبيه والحجـاج بـن يوسـف وغيرهما من كانوا قوادا أوألسن قبائل غالبا أوسفراء أومـا أشبه.

لم تمثل الرسائل المكتوبة ديوانية أوغير ديوانية تقليلا من قدرها قليلا؛ إلا فى العصر اللاحق؛ بل يمكـن أن يقـال إنها أثرت فى الرسائل المكتوبة، ومثلت وإياها رصيد بلاغة ولسن دائمين فى المؤلفات اللغوية والأدبية الموضوعية بعد.

الرسائل

بداياتها المكتوبة رسائل النبى الكريم ثم الصحابة؛ بيـد أنها فى مجمل العصر الأموى تطـورت داخـل الـدواوين وخارجها كما مرإلى أنماط تأليف موضـوعية فـى شـتى

الأغراض السياسية والحياتية والدينية والمذهبية والشخصية، كما فى العرض التبيانى التالى وفيما مثلنا بفصل المختارات.

الرسائل الديوانية – الشخصية – أصحاب الفلسفة والـوعظ – أصحاب المذاهب الغامضة.

نماذج الرسائل الديوانية(رسائل الكتاب والساسة):-

من متكاثر ما أوردنا فى الكتابة من عناوين رسـائل : النماذج/ الأنماط التالية فى ضوء ملاحظات ضيف عليها :

لعبد ا بن سالم على لسان هشام سنة ١١٩هـ رسالة إلى خالد القسرى حين ضرب بالسياط ابن حسـان النبطـى وكيل هشام على ضياعه بالعراق. قال ضيف.

"أطنب عبد ا .. مبينا لخالد ما بلغ هشـاما وفلتـات لسانه؛ ومصغرا لأمره بالقياس إلى سلفه الحجـاج وقضـائه على الفتن والثورات وكيف أن هشاما أعلى من شأنه بتوليته على العراق مع وجود من يعلوه ويغمره.

ويمضى يعدد عليه أخطاءه فى سياسته وكيـف أنـه يستعين بالمجوس فى أعماله.. وضيع أموالا كثيرة هى أموال المسلمين فى حفر نهر المبارك وكيف يبتز أمـوال رعايـاه

باسم هدايا النيروز والمهرجان؛ وينحى عليه باللئمـة فيمـا صنع بابن حسان؛ ويسجل عليه نقص الخراج وأنه ولى أسدا أخاه خراسان مظهرا بها العصبية اليمنيـة متحـاملا علـى المضرية.

وهوفى ثنايا ذلك يتهدد بروا جع بغيه وأنه إن لم يكـف عن غيه فقِبل أمير المؤمنين كثيرون خير منه عاقبة وعملا."

قال ضيف: "وطالت الرسالة فكأنها تـاريخ مختصـر لخالد القسرى وولايته الطويلة(٩٢). علـى العـراق. وهـى جميعها مكتوبة بهذا النمط الذى ورد فيها وبلغ الغايـة فـى أسلوب عبد الحميد.

ونص مقتطف ضيف من رسالة عبد ا بن سالم إلـى خالد القسرى هو:

"بسم ا الرحمن الرحيم. أما بعد فقـد بلـغ أميـر المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك إلا لمـا أحـب مـن رب الصنيعة قبلك(إتمامها) واستتمام معروفه عندك. وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد منك فـإن تعـد لمثـل

---

٩٢ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٧٢

مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنـك رأى فـى معالجتـك بالعقوبة رأيه. إن النعمة إذا طالت بالعبد ممتـدة أنظرتـه فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه إلـى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فإذا نزلت به الغيـر وانكشطت عنه عماية الغى والسـلطان ذل منقـادا ونـدم حسيرا؛ وتمكن (منه) عدوه قادرا عليه قاهرا له"[٩٣].

وقد رأى الدكتور ضيف كتاب العـراق والمشـرق لا يقلون عن كتاب دمشق عناية بالأسلوب فى الرسائل :

- مثل بقول عبد الرحمن بن الأشعث لكاتبـه ابـن القِرية حين ثار الحجاج: "إنى أريد أن أكتب إلـى الحجاج كتابا مسجعا أعرفه فيه سوء فعاله وأبصره قبح سريرته".
- رأى ضيف فى رغبته فى سجع الرسالةإضافة حجة فنية إلى حجته فى الثـورة؛ إذ أصـبحت الكتابـة السياسية تقترن بغايات بلاغية.
- ومثل بما رآه يروى من أن يحيى بن يعمر، أحـد

---

[٩٣] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٧٢ (فى النص "وتمكن من عدوه".

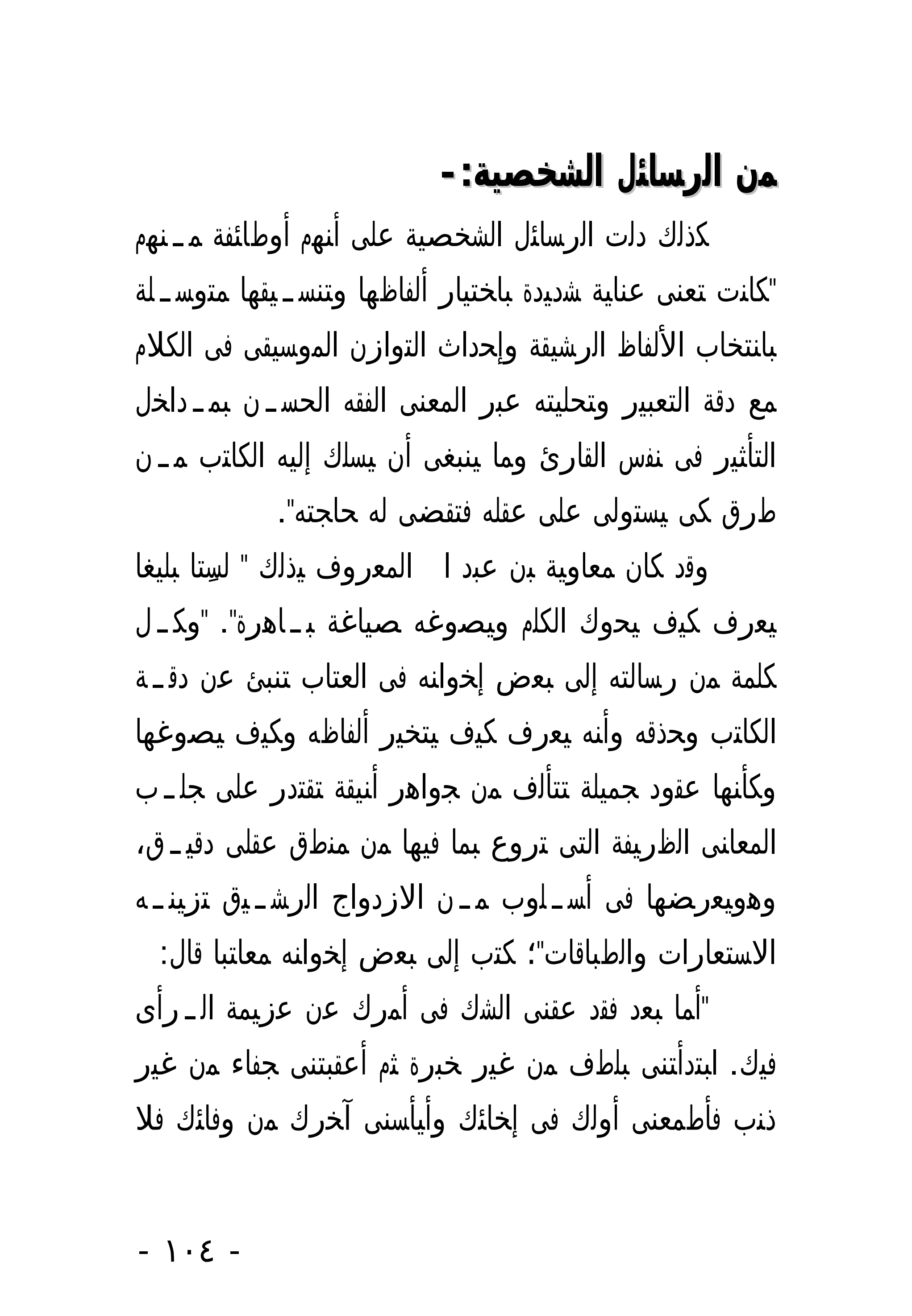
علماء اللغة الأوائل كتب على لسـان يزيـد بـن المهلب فى ولايته على خراسان. كتب إلى الحجاج إثر انتصار ابن المهلب علـى ملـك التـرك فـى "بادغيس" : "إنا لقينا العدوفمنحنا ا أكتافهم فقتلنـا طائفة وأسـرنا طائفـة ولحقـت طائفـة بعرائـر الأودية(أسافلها) وأهضام الغيطان (مداخلها)؛ وبتنا بعرعرة الجبل(أعلاه) وبات العدوبحضيضه"[٩٤].

- رأى ضيف أن ذوق يحيـى بـن يعمـر اللغـوى واستحباب الحجاج لأوابد اللفظ حقق المـراد مـن الرسالة؛ فقد راعت الحجاج، وقال: "ما يزيد بـأبى عذرة هذا الكلام؛ فقيل إن معه يحيى بـن يعمـر، فكتب إلى يزيد أن يشخصه إليه؛ فلما أتـاه سـأله مولده فقال الأهواز وعن فصاحته فقال أخذتها عن أبى"[٩٥].

---

[٩٤] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٦٩

[٩٥] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٦٩



من الرسائل الشخصية:-

كذلك دلت الرسائل الشخصية على أنهم أوطائفة مـنهم "كانت تعنى عناية شديدة باختيار ألفاظها وتنسـيقها متوسـلة بانتخاب الألفاظ الرشيقة وإحداث التوازن الموسيقى فى الكلام مع دقة التعبير وتحليته عبر المعنى الفقه الحسـن بمـداخل التأثير فى نفس القارئ وما ينبغى أن يسلك إليه الكاتب مـن طرق كى يستولى على عقله فتقضى له حاجته".

وقد كان معاوية بن عبد ا المعروف بذلك " لسِنا بليغا يعرف كيف يحوك الكلم ويصوغه صياغة بـاهرة". "وكـل كلمة من رسالته إلى بعض إخوانه فى العتاب تنبئ عن دقـة الكاتب وحذقه وأنه يعرف كيف يتخير ألفاظه وكيف يصوغها وكأنها عقود جميلة تتألف من جواهر أنيقة تقتدر على جلـب المعانى الظريفة التى تروع بما فيها من منطق عقلى دقيـق، وهويعرضها فى أسـلوب مـن الازدواج الرشـيق تزينـه الاستعارات والطباقات"؛ كتب إلى بعض إخوانه معاتبا قال:

"أما بعد فقد عقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الـرأى فيك. ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب فأطمعنى أولك فى إخائك وأيأسنى آخرك من وفائك فلا

أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ولا أنا فى غد وانتظاره منـك على ثقة فسبحان من لوشاء كشف بإيضاح الرأى فى أمـرك عن عزيمة فيك فأقمنا على ائتلاف أوافترقنا على اخـتلاف والسلام" [٩٦].

رسالة أثرت لسالم يشكر بها بعـض إخوانـه على صنيع :

" أما بعد فقد أصبحتُ عظيم الشكر لما سلف إلى منك، جسيم الرجاء فيما بقى لى عندك. قد جعل ا مستقبل رجائى منك عونا لى على شكرك وجعل ما سلف إلى منـك عونـا على مؤتنف الرجاء فيك" [٩٧].

---

٩٦ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٦٤، ٤٦٥

٩٧ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٧٢

قال ضيف: وفى الرسالة ما يصور دقة تفكيره ولطف مداخله؛ فهويشكر ويرجوويجعل ما سلف آية علـى تحقيـق رجائه[٩٨].

من رسائل أصحاب المذاهب الفلسفية الدينيـة

رسائل الحسن البصرى الواعظة.

ويتضح فيها كما يتضح فى خطبـه كيـف اسـتخدم الازدواج وتزيين المعانى بالصور حتى تتمكن فى النفس ثـم يزيدها تمكينا بمقابلاته وطباقاته الكثيـرة، وموازناتـه بـين العبارات شأن غيلان الدمشقى حتى جاراها بلغاء الكتاب فى عصرهما وأضرابهما من الوعاظ؛ حتى لنجد هذا فى أسلوب سالم وعبد الحميد الكاتب[٩٩].

بناء على طلب عمر بن عبد العزيز مـن الكتـاب أن يعظوه، وطلبه من الحسن البصرى أن يكتـب إليـه بصـفة الإمام العادل دبج له الحسن رسالة طويلة استهلها بقوله:

---

[٩٨] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٧٢

[٩٩] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٦٣

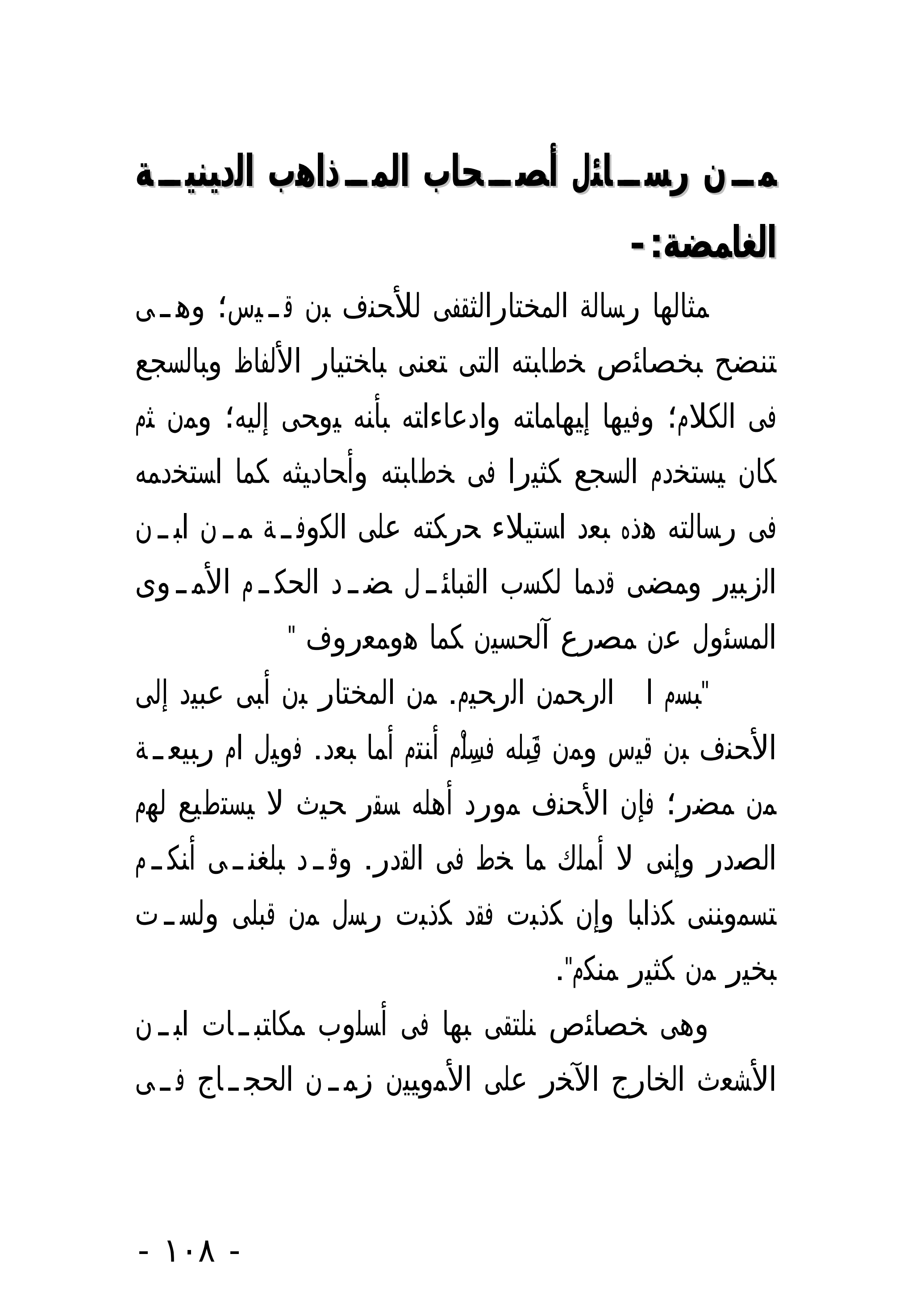
"واعلم يا أمير المؤمنين أن ا جعل الإمام العادل قوام كل مائلة وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق بها الذى يرتاد لها أطيب المراعى ةيذودها عـن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكفيهـا مـن أذى الحـر والقر. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى علـى ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم فى حياتـه ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة بولدها كملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمـه أخـرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته.."

ومضى يذكره بحقوق الرعية ويخوفه من المسـئولية بعد الموت. وعلـى شـاكلته وعظيـات غـيلان الدمشـقى وغيره[100].

---

[100] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٦٢، ٤٦٣



مـن رسـائل أصـحاب المـذاهب الدينيـة الغامضة:-

مثالها رسالة المختارالثقفى للأحنف بن قـيس؛ وهـى تنضح بخصائص خطابته التى تعنى باختيار الألفاظ وبالسجع فى الكلام؛ وفيها إيهاماته وادعاءاته بأنه يوحى إليه؛ ومن ثم كان يستخدم السجع كثيرا فى خطابته وأحاديثه كما استخدمه فى رسالته هذه بعد استيلاء حركته على الكوفـة مـن ابـن الزبير ومضى قدما لكسب القبائـل ضـد الحكـم الأمـوى المسئول عن مصرع آلحسين كما هومعروف "

"بسم ا الرحمن الرحيم. من المختار بن أبى عبيد إلى الأحنف بن قيس ومن قِبله فسِلْم أنتم أما بعد. فويل ام ربيعـة من مضر؛ فإن الأحنف مورد أهله سقر حيث لا يستطيع لهم الصدر وإنى لا أملك ما خط فى القدر. وقـد بلغنـى أنكـم تسموننى كذابا وإن كذبت فقد كذبت رسل من قبلى ولسـت بخير من كثير منكم".

وهى خصائص نلتقى بها فى أسلوب مكاتبـات ابـن الأشعث الخارج الآخر على الأمويين زمـن الحجـاج فـى

العراق. " ومعروف أن ابن الأشعث اتخذ له كاتبا له أيـوب بن القرية المشهور بسجعه"[101].

---

[101] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ٤٥٩

ثانيا ـ الشعر

فى المدينة ومكة - الطائف ووادى القرى –

نجد وبوادى الحجاز

انطلق الشعر فى هذا العصـر كمـا اطلـق الغنـاء والقصص الحكوى من أصل ضخم صحيح كما نداخل مـع شوقى ضيف؛ وهوأنه صار من أمضى الأسلحة فى معركة الإسلام والشرك كما أوردنا عن بنت الشـاطئ [(١٠٢)]؛ كمـا صار لسان حال الرفه والغناء فى الحجاز وما إليه؛ كما صار " يتدفق على ألسنة الفاتحين وكانوا ينشدونه فى كل موقـف

---

[١٠٢] - عبد الحكيم العبد/ الجهود البلاغية عند أحمـد حسـن الزيـات، ماجستير، آداب الإسكندرية، ١٩٧٦م، ص ٢٦ : (دحضت الناقدة ما ترسخ فى طبقات الشعراء بأن "الشعر نكد بابه الشر؛ فإذا دخل فى الخير ضعف" ح واثبتت الحقيقة التى يقولها لها التراث وهـى: "أن الشعر كان سلاحا من أمضى الأسلحة فى المعركة بين الوثنية والتوحيد، وأنه ظل محتفظا بكل سلطانه على وجدان العرب، لـم يعطله اشتغالهم بالفتوح، ولم يفقد البيان سحره فى قوم آمنوا بـدين معجزته بيانية ظاهرة" – وإحصاء عن رسالة تلميذها بـالمغرب" ٣٠٠ شاعر صحت لهم الصحبة و٢٣ من الصحابيات الشواعر.

وكل معترك، مقصدين له حينا وراجزين أحيانا"؛ وقد نوه بأن الرجز كان "الوزن الذى ينظم فيه عامة العرب"(١٠٣).

- **تدفق بصحبة شعراء الإسلام ضد شعراء التوثن الذين انبروا.**
- **تدفق بصحبة الغناء والألحان فـى مكـة والطـائف ووادى القرى، ونجد وبوادى الحجاز**
- **وتدفق بصحبة الزهد والحماسة السياسية والقتاليـة وحتى والخمرية على تباين بقيـة الأقـاليم (الكوفـة والأطراف الشمالية وخراسان).**

تفسيرنا للزيادة فى تدفق الشعر فى هذا العصر عنه فى العصر الجاهلى (بعيد هدأة يسيرة أوائل الدعوة) أمران:

- أن الشعر منذ كان عند العرب كان ديوانهم بالمعنى الوجدانى الشامل شعورا ومعرفة وقيما ولسانا.
- الأمر الثانى وهوجديد بمعنـى مـن المعـانى أن الإسلام جاء صديقا للجمال ونما يليق من الفنـون

---

١٠٣ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص٦٧

كما فى قسمه الخاص

- عاشت هذه الروح الدمثة المفعمة بالجلال والجمال دمثة فى تواؤمها مع جملة مبادئ الدين؛ فى نفـس مراكزها: مكة والمدينة وضواحيهما – نجد وبوادى الحجاز – الكوفة والبصرة – خراسان – الشـام – مصر والمراكز الأخرى؛ كما فى درس مسـتوعب لشوقى.
- كانت المدينة ومكة أهم مراكز الترف والغناء فـى العصر الأموى؛ حيث عمل الإسلام والثراء القـديم والجديد عمله فى الذائقة الشعرية العربية العتيـدة؛ مما أنشأ بهما مجتمعا متحضرا تعرب فيه المـوالى وترفه أبناء الصحابة كما يقول شوقى ضيف[١٠٤]. وصار فردوسا يبكى متى فورق كما فى بكاء أبـى قطيفة لنفى ابن الزبير له منه إلى دمشق وللغنـاء فيه نصيب واف.

---

[١٠٤] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٤١

احتفظت المدينة : كما قال بالتراث الـ دينى وبـ أكثر طوائف المجتمع العربى رقة ودماثة بما لها وبما جاب إليهـا من ثراء الفتوح والموالى وأعطيات عمر والأمويين. قال: لم يخف ذلك إلا هونا فترة انتقاضها على يزيد بن معاوية[105]. ثم انتهت الثورة بموقعة الحرة ٦٣هـ.

ظهر أثر الترف كما قال قصورا بولغ فـى تجميلهـا وزخرفتها[106]؛ ورقيقا وأطعمة وملابس وعطـورا وغنـاء تتعرف عليه أيضا. اشترك فى الاهتمام بسماعه فى المدينـة جميع طوائف الناس: العباد – الأمراء – أصـحاب الـدور الكبيرة، كعبد ا بن جعفر وسكينة بنت الحسين؛ خصصـت دور للسماع كدار جميلة[107] التى خرجت حاجة فى مهرجان ضم فيما ضم عشرين مغنيا وخمسين قينة. جوعام اشـترك فيه بالمدينة أصحاب الفكاهة كأشعب المشهور. وعدد مـن

---

١٠٥ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٣٩

١٠٦ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٣٩

١٠٧ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص١٤١،١٤٠

شعراء الأنصار، وشعراء قريش، وشعراء حلفـائهم ومـن شعراء الموالى على كثرة ما وراءهم ممن ذكرهم أبـوالفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى[١٠٨].

فى هذا الجو؛ قال: ساد شعر الحب وبقيت بقاياه هجاء ومدحا. امتار النوع الأول كما وكيفا ووزنا ولاسـيما مـن أحسن وضع الألحان على شعره كعروة بن أدينة؛ أووضـع الشعر لغنائه مثل أبى سعيد مولى قائد، ولامة القـس آخـر العهد[١٠٩].

---

١٠٨ - من شعراء الأنصار: عبد الرحمن بن حسان – سـعيد ابنـه – النعمان بن بشير – السرى بن عبد الرحمن – الأحوص بن محمد؛ وشعره أصرح من شعر عمر بمكة.

- ومن شعراء قريش:عبد الرحمن بن الحكم – عبد ا بن الحسن بـن الحسن بن على – جعفر بن الزبير – الحسين بن عبد ا .

- من حلفائهم: الفقيهان عروة بن أذينة وعبيد ا بن عبد ا بن عتبة – ابن أرطأة – ابن هرمة.

١٠٩ - - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص١٤٤

أما مكة فقد رآها شاركت المدينة فى كل ما قال إضافة إلى ثرائها التجارى القديم حيث كانت القوافل كقناة السـويس عندنا اليوم؛ وإضافة إلى فىء الحج كـل سـنة حتـى راع معاوية تفوق قصورها علـى قصـوره الـرقط بهـا فـى الفخامة[110]. وعدد من شغف بالغناء من شـتى الطوائـف مذكور فى قسم الفنون.

وقسمنا هذا معنى بمن ذكر من الشعراء : بمكة وأودية الطائف ووادى القرى - نجد وبوادى الحجاز - الكوفـة - الأطراف الشمالية – خراسان[111].

---

١١٠ - وسع من ظاهرة بناء القصور بها خلافـة ابـن الزبيـر، كمـا استنبطت العيون وغرس الشجر وصفت الفوارات؛ فغرقـت فـى الترف: صحاف ذهب وفضة – لبس مقطعات خز وسندس وديباج وحال موشاة؛ فضلا عن العطور. وبالغت النساء فى ذلـك وفـى الحلى وصنوف الجوهر.

١١١ -

▫ ذكر بمكة :

- ممن شغف من الفقهاء بالغناء المهذب هذا :عطاء بن أبى رباح – ابن جريج.
- ومن القضاة: الأوقصى المخزومى

▪ وممن عرف بالمرح الواسع: الدارمى الشاعر – الثريا بنت على بـن عبد ا بن الحارث الأموية(وهى مولاة الغريض) – يحيى قيل – سمية (وقصرها العظيم المسمى بالثريا أيضا معقد ندوات للمغنـين والشعراء [111]؛ وفيها صار تطريب القرشى بغناء سريج فى شـعر عمر مضرب المثل.

▪ ومن الشعراء بمكة : الغريض وقد عاش للغزل وحده.

- وابن أبى ربيعة؛ وهوحسى ولكنه غير مفحش ويعد أقل صراحة من شعر الأحوص فى المدينة. (ص١٤٧)

▪ وممن تعلق بمكة من بالمديح والهجاء لبعض الوقـت: ابـن قـيس الرقيات والغريض؛ بيد أن أكثر شعرهما الغزل. (١٤٧) – عبـد الرحمن بن أبى عمـار الجشـمى(١٤٨)؛ وهوالممتـاز بالنقـاء والطهارة وسموالعاطفة؛ وفقيه.

◘ ومن أودية الطائف ووادى القرى ومن ينزل إليها منهما: محمد بـن عبد ا النميرى – يزيد بن ضبة – عمر الوادى

- وقد رآهم متفاعلين مع الشعر والغناء فى المدينة ومكة.

◘ وفى نجد: ذكر شعراء بنى عذرة وبنى عامر أصحاب الغزل الـذى يمسح عليه الإسلام بذوقه. كثرت فيه القصص كثرة مفرطة؛ كأنهم أفرغوا فى غزلهم صورا بديلة من البطولات الجاهلية.

◘ وفى الكوفة:.حيث الشيعة والزهاد؛ أوشاعر مشهور هوالطرماح بن حكيم؛ أو لاه خمرى مثل الأقيشر يحاور الزهاد، وأمثالـه كثـروا بأخرة من قبيل مطيع بن إياس وحلبته؛ أوعلى قلة الفخر والهجـاء

هجاء هوالحكم بن عبدل؛ أومداحون للـولاة والخلفـاء والأجـواد والقواد؛ ومنهم شديد التعصب على بنى أمية مثـل عبـد ا بـن الزبير الأسدى (ضيف، نفسه ص ١٥٦، ١٥٧؛(والمطبوع بلفـظ "لبنى أمية، وهوغير المقتضى).

▪ وفى الأطراف الشمالية: حيث نزحت قيس وبطونها: كلاب – عامر – سليم؛ ومفارقة لليمنيتين كلب وتغلب فـى الـولاء للأمـويين : ظهرت العصبية والحروب الجذعة:

مثل قيسا وبطونها فى المنزح: زفر بن الحارث – عمر بن الحبـاب – جهم القشيرى – ابن الصفار المحاربى.

ومثل كلبا وأخواتهااليمنية بالشام: جواس بـن القصـطل – عمـروبن المخلاة – منذر بن حسان –

ومن شعراء تغلب فى الجزيرة: الأخطل ٠الذى مضى بعد عودة السلام لمدح الخلفاء والولاة والأجواد مع: القطامى – أعشـى تغلـب – أعشى بنى شيبان – نابغتهم (ضيف، نفسه ١٥٢، ١٥٣

▪ فى خراسان كثرت العصبيات امتدادا لها فى الشمال:

كثرة شعراء مضرية منهم: زياد الأعجم(مولى عبد القيس) – كعب بن معدان الأشقرى وثابت قطنة(وكانا فارسيين) – نهاز بـن توسـعة اليشكرى البكرى – المغيرة بن حبناء التميمى – أبوحلادة اليشكرى وأعشى همدان (ولهما حب فى بعض نساء الديلم وفتياتهم) – مالك بـن الريـب التميمـى ٠ورثـاؤه لنفسـه مشـهور) – الصـمة

وفى نظرة عامة يمكننا تصنيف الشـعر فـى صدر الإسلام كالتالى:

أ- شعر معارك الوثنية والتوحيد، وقد يداخله تصنيفيا شعر التألف والاستعطاف مـن الـداخلين الجـدد والمستعربين. (ومنهم: كعب بن زهير – قتيلة بنت الحارث – حسان بن ثابت).

ب- أشعار بدايات التحزب والصراع بين الصحابة ومن

القشيرى(وهومن بعض البدورحل تعويضا عن حبه المخفق ومات غازيا فى طبرستان) (١٦٤ضيف، ، ١٦٥).

وفى فورات حول ولاة: ١) المهاب بن أبى صفرة. ولاه الحجاج لقـاء قضائه على الأزارقه. حوله نشط حوله من الشعراء: المغيرة بـن جبناء التميمى – نهاز بن توسعة – زياد الأعجم(مولى عبد القيس) (ص١٦٢).

٢) حول يزيد بن المهاب؛ فى معانى شجاعته وكرمه وحروبـه فـى فرغانة وخوارزم وما وراء النهر.

٣)وحول قتيبة بن مسلم؛ قائدا محنكا، يعلى كفة قيس ويفتح طخارستان والسغد وخوارزم وسمرقند(١٦٣).

- وكذلك بعض أشعار المرجئة (١٦٤) وأشعار نذر الثورى ببنى أمية (١٦٢)

إليهم وجملة من يسمون بالمخضرمين.

ج- وفى نظرة مثيلة يمكننا تصنيف الشعر فى الفتـرة الأموية كالتالى:

شعر الوجدان الذاتى، ممن غلـب مـنهم الانتخـاب والتأليف للغناء؛ ويمثلهم: [112]

- فى الغزل العذرى: قيس بن الملوح – جميل بثينـة – كثير عزة. وما حولـه مـن قصـص حكـوى استعاضة عن ملحميـة الجـاهليين وأسـخوراتهم الخرافية.
- وفى الغزل يعاش له وحده ويخلط بالمديح والهجاء: الغريض ووابن قيس الرقيات
- وصريحا دون إفحاش: عمـر بـن أبـى ربيعـة والأحوص الأصرح منه.

وفيمن تراوح صيته بين العذرية والصعلكة: توبة بـن الحمير صاحب ليلى الأخيليةٍ

[112] - ينظر جدولنا: المغنون.. فى العصر الأموى بقسم العلوم والثقافة والفنون

شعر السياسة؛ ويشمل:

- الخوارج: ويمثلهم: عمران بن حطان – الطرماح بن حكيم.
- الشيعة، ويمثلهم: الكميت الأسدى – كثير عزة.
- الزبيريون، ويمثلهم: عبد ا بن قيس الرقيات، قبل تحوله إلى الأمويين.
- الموالى، ويمثلهم: اسماعيل بن يسار – يزيد بن ضبة.
- الأمويون، ويمثلهم: أبوالعباس الأعمى – أعشى ربيعة – النابغة الشيبانى – عدى بن الرقاع.

شعراء الهجاء الذى اتخذ طابع العبث؛ ويمثلهم: الأخطل – جرير – الفرزدق.

شعراء الأغراض الخاصة/ أراجيز ورعويات؛ ويمثلهم: العجاج – ابنه رؤبة – ذوالرمة.

فى شعر معارك الوثنية والتوحيد:

مر أن الشعر كان من أمضى أسلحة الحرب بين الوثنية والتوحيد، كما أوردنا فى هذا ٣٠٠ شاعر و٢٣ شاعرة فى الجبهة الإسلامية وحدها.

من وقائع هذه الحرب الكلامية والشـعرية مـا أورده أبوسعيد السكرى شارح ديوان كعب بن زهير من خبر كعب وزهير مع الرسول.. ومن الخبر:

"أسلم بجير بن زهير.. فاشتد عليه أهله. وكان كعب.. وهوأخوه لأبيه وأمه شديدا عليه، فلقى بجير النبى.. مهاجرا فأرسل إليه كعب..:

ألا أبلغا عنى بجيـرا رسـالة
فهل اك فيما قات ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون كأسا رويـة
فأنهلك المأمون منهـا وعلكـا

ففارقت أسباب الهـدى اتبعتـه
على أى شىء ويب غيرك دلكا

على مذهب لم تلف أما ولا أبا
عليه ولم تعرف عليه أخا لكـا

فإن أنت لم تفعل فلست بتـارك
ولا قائل إما عثرت لعـاً لكـا

قال السكرى:

"فلما بلغت هذه الأبيات بجيرا أنشدها النبى صلى الـه عليه وسلم فقال: صدق أنا المأمون وإنه لكاذب قال أجل لم ياف عليه أباه ولا أمه على الإسلام؛ فأجابه بجير: من مبلغ كعبا فهل لك فى التى تلوم عليها باطلا وهى أحزم".

إلى ا لا العزى ولا اللات وحده

فتنجوإذا كـان النجـاء وتسـلم

لدى يوم لا ينجـوو ليس بمفلـت

من النار إلا طاهر القلب مسـلم

فدين زهير وهولا شـىء دينـه

ودين أبى سلمى علـى محـرم

فلما قدم رسول ا ﷺ المدينة منصرفه من الطـائف كتب بجير إلى أخيه: "إن ﷺ يهم بقتل كل من يؤذيـه مـن شعراء المشركين، وإن ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب قد هربا فإن كانت لك فى نفسك حاجة فاقدم علـى رسـول ا صلى ا عليه وسلم فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا وإن أنت لـم تفعل فانج إلى نجائك من الأرضح فلما أتـاه كتـاب بجيـر

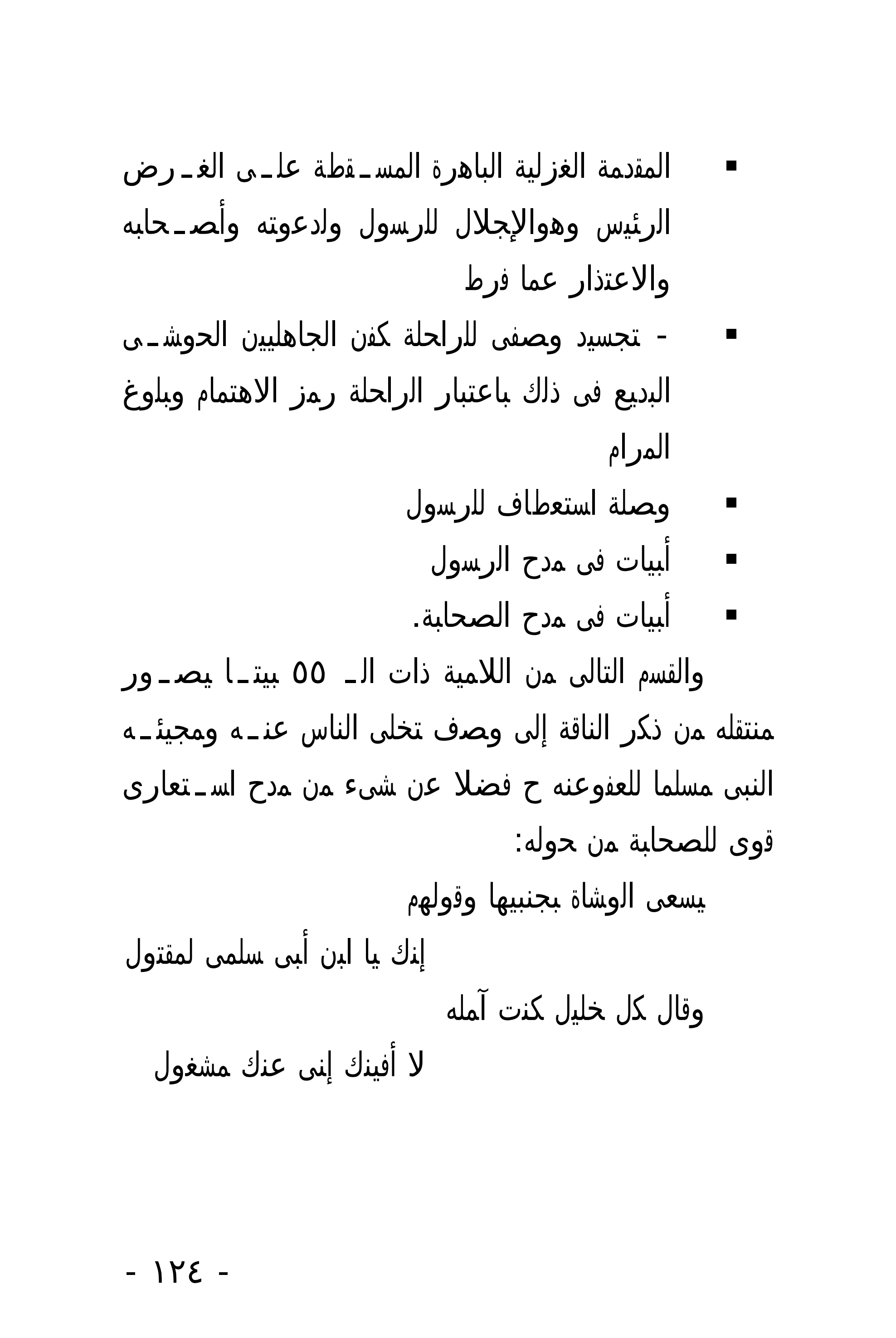
ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره ح وقالوا : هومقتول، وأبت مزينة أن تؤويـه فقـدم المدينة فنزل على رجل بينه وبينه معرفة ثم أتى رسـول ا صلى ا عليه – وكان النبى عليه السلام لا يعرفـه فجلـس بين يديه ثم قال: يا رسول ا إن كعب بن زهير أتاك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به قال نعم قـال فأنـا كعب، فوثب رجل من الأنصار فقال دعنى أضـرب عنقـه فكفه النبى.. فقال كعب يمدح النبى صلى ا عليـه لاميتـه المشهورة[113] ومطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

ونص القصيدة بديوان كعب بن زهير أشـبه بمعلقـة كاملة حتى فى التضخيم الفنى المقصود للألفـاظ. ولـولا أن المعانى الإسلامية وذكر الرسول والصحابة أكسبها عطـرا إسلاميا جديدا إذ داخل ذلك ضمن أغراضها الخمسة:

---

١١٣ - السكرى(أبوسعيد) / شرح ديوان كعب بن زهير، الدار القوميـة للطباعة والنشر، ١٩٦٥م،ص ٤ + القصة بحذافيرها فى السـيرة لابن هشام، ج ٤ – وقد توفى أبوهما الشاعر الراوية المخضـرم الكبير سنة ٥٢٤م



- المقدمة الغزلية الباهرة المسـقطة علـى الغـرض الرئيس وهوالإجلال للرسول وادعوته وأصـحابه والاعتذار عما فرط
- - تجسيد وصفى للراحلة كفن الجاهليين الحوشـى البديع فى ذلك باعتبار الراحلة رمز الاهتمام وبلوغ المرام
- وصلة استعطاف للرسول
- أبيات فى مدح الرسول
- أبيات فى مدح الصحابة.

والقسم التالى من اللامية ذات الـ ٥٥ بيتـا يصـور منتقله من ذكر الناقة إلى وصف تخلى الناس عنـه ومجيئـه النبى مسلما للعفوعنه ح فضلا عن شىء من مدح اسـتعارى قوى للصحابة من حوله:

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم

إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

وقال كل خليل كنت آمله

لا أفينك إنى عنك مشغول

فقلت خلوا طريقى لا أبا لكم

فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوما على آلة حدباء محمول

أنبئت أن رسول ا أوعدنى

والعفوعند رسول ا مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القرآن فيهـا مـواعيظ

وتفصيل :

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم

أذنب ولوكثرت فى الأقاويل

لقد أقوم مقاما لويقوم به

أرى وأسمع ما لويسمع الفيل [(١١٤)]

لظل يرعد إلا أن يكون له

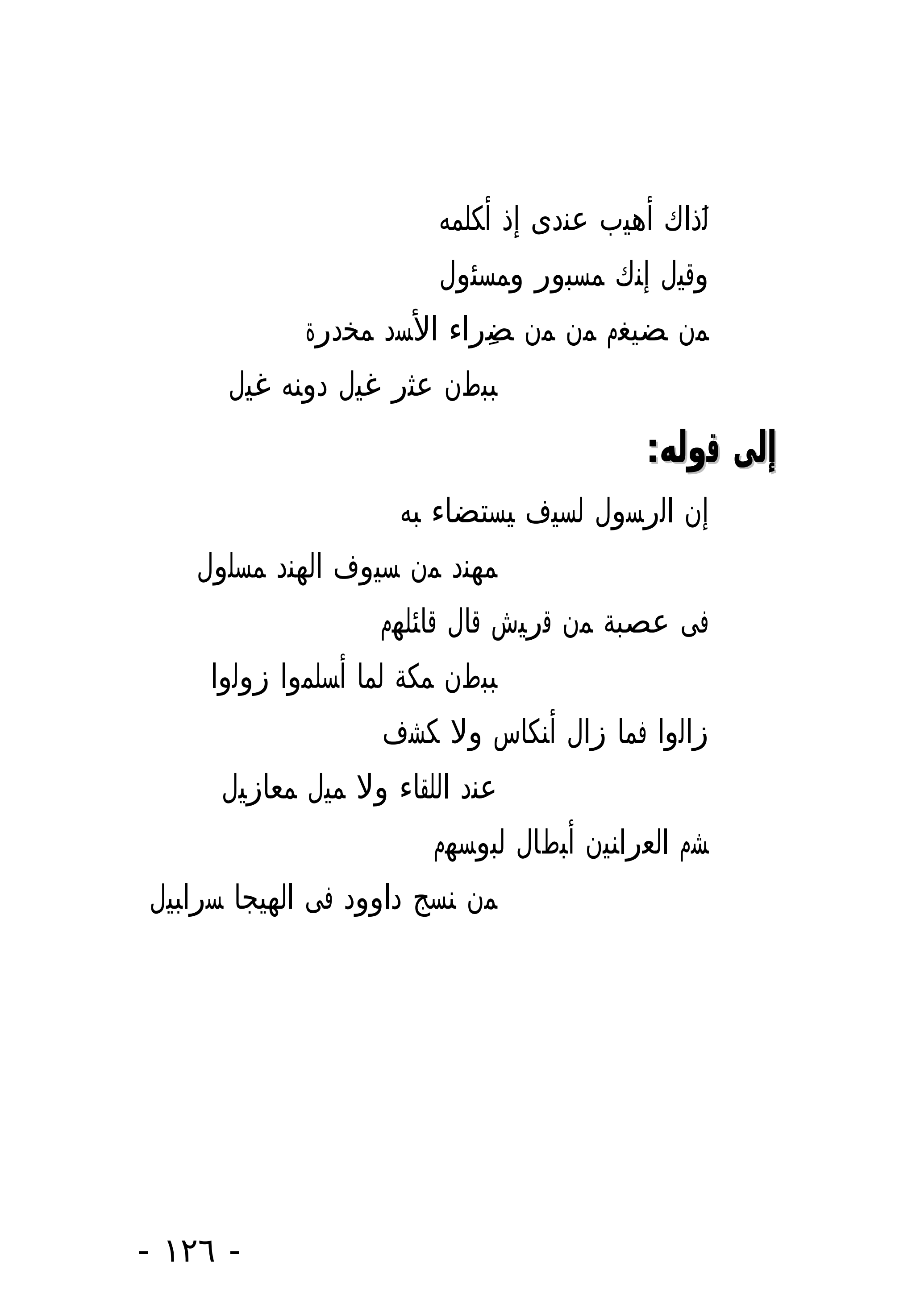
من الرسول بإذن ا تنويل

حتى وضعت يمينى لا أنازعه

فى كف ذى نقمات قيله القيل

---

[١١٤] - كأن ثمة علاقة بين حجمه وقوة مفترضه فى سمعه؛ ومن المعنى أيضا: فيل الرأى: سقيمه أوضعيفه



لَذاك أهيب عندى إذ أكلمه

وقيل إنك مسبور ومسئول

من ضيغم من من ضِراء الأسد مخدرة

ببطن عثر غيل دونه غيل

إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به

مهند من سيوف الهند مسلول

فى عصبة من قريش قال قائلهم

ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف

عند اللقاء ولا ميل معازيل

شم العرانين أبطال لبوسهم

من نسج داوود فى الهيجا سرابيل

بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنهـا حـدقٌ القعفـاء مجدول[115].

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم

ضرب إذا عرد السود التنابيل[116].

من مدرسة الشعر العذرى:

من نتائج الورع الإسلامى والرفه الثقـافى والبـداوة جميعا ظهور نوع من الشعر عف رقيق؛ وإن كان مفرطـا الرومنسية إذا جاز التعبير. عرفت فى هذا السـبيل ثنائيـات عشقية مشهورة : قيس وليلى – جميل وبثينة – كثير وعـزة – توبة وليلى الأخيلية- الجعـد بـن مهجـع (أبوالمسـهر) وأخرى.

جمل بن عبد ا بن معمر ٨٢هـ):

من بنى عذرة بوادى القرى شـمالى المدينـة علـى الطريق بينها وبين الشام ومصر. اشتهر بنسبته إلـى بثينـة

---

[115] - قعفاء: ضرب من الحسك الشائك، أشبه بحلق الدرع

[116] - سكرى(أبوسعيد) / شرح ديوان كعب بن زهير، الدار القوميـة للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، الأبيات: ٣٢ - ٥٣

فقيل جميل بثينة، وبدويته تعكس نقاء البداوة ورقة الحضارة وظارفها[١١٧].

وجميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية فـى مدرسة المجودين عبيد الشعر: جميل – هدبة بن خشـرم – الحطيئة/ زهير بن أبى سلمى وابنه كعب؛ ولـوأن فطريـة جميل أظهر من مدرسية زهير والراوين عنه.

لا يكاد يفوقه فى سمتى الفطرية والصنعة إلا تلميـذه وراويه المعروف العذرى الآخر كثير عزة؛ ولوأن لكل لونته

---

١١٧ - جميل بن معمر/ ديوان جميل، تحقيق د. حسـين نصـار، دار مصر للطباعة ص ٦

- وهوالمجموع الرابع لشعر جميل ح وراجع فيه مواقف مـن حيـاة جميل وشاعريته مع بثينة وغيرها:
- قسم بثينة ألا تحتجب منه على خلاء عند سماعها بعض شعره فيهـا ص ٨
- الخطبة والزواج من غيره ص ٨
- إحراقها البرد لتدفئته ص ١١٤
- المبيت العف بجوار بثينة ص ٨٠
- توديعه وسفرته إلى مصر قبيل وفاته ص ٩، ١٨٤، ١٨٣

صلة جميل بكثير عزة، وبعمر بن أبى ربيعة، ص ١٥ - ١٧

الأخص فى العذرية : فجميل مثل فى الرجولـة والشـهامة والوجاهة الخلقية والخلقية، تحبه نساء كثيرات ولا يشغله إلا واحدة؛ وكثير دميم سىء التشيع تقتحمه العيون ولكنه يرزق بواحدة أحبته رغم كل شىء؛ وأغرب غرائبه أنه يفوق أستاذه جميلا فى الشاعرية؛ وكلاهما مختلفان عن توبة وأبى المسهر فى العذرية – وكلهم فى مذهب العذرية المتنوعة هذه نقيض للشاعر الصريح عمر بن أبى ربيعة ومن إليه[118].

من غزليات ما طال نسبيا من قبيـل قصـيدته "ردى بعض عقلى" ذات الـ ٤٢ بيتا، وبيتاها: المطلع وتاليه :

ألا ليت أيام الصفاء جديد   ودهرا تـولى يـا بثين يعود

فنغنى كما كنا نكون وأنتم   صديق وإذ ما تبذلين زهيد

وتتحقق في سائر قصائده نفس الأفكـورات/ التيمـات المتضمنة فى هذه القصيدة كلها وهى هنا:

- تمنى عودة أيام الصفاء.
- تذكر قول للمحبوبة ويوم من أيامها.
- التفات وشكوى للصاحب طلبا للتخفيف.

---

[118] - زكى مبارك/ العشاق الثلاثة، المعارف، ص ٢٧ - ٥٤

- ارتياع ودمع من مجرد احتمال البعد.
- مقابلات بين ضراعاته وبين ما ظنه بخلا وصلابة منها.
- يتخللها تذكره إياها وأمله فى وصالها إياه.
- مغاضبات له تأخذ شكل الدعاء المتدلل.
- ضجر بالوشاة ودعاء عليهم.
- انصرافه عن نساء فى الحى إليها وحدها.
- تذكره بشاشات بعض اللقاءات معها ٠رغم ما يزعم من بخلها ولابتها).
- حنينه إلى الارتحال إليها وتفنن فى وصف الراحلة وفى وصف الطريق.
- أوصاف حسية غير مفرطة فى بثينة.
- لوم اللائمين له فى قصره جهاده على الحب.

الفصل الثالث

الفنـــون

- الغناء
- المعمار
- التصوير

جاء الإسلام صديقا حقا للجميل فى كل أمر؛ بما فـى ذلك مشاهد الأرض والسماء الدنيا والثروة الحيـة والسـائلة والمعروف والكلمة الخيرة والمال والبنون الزينة وسائر المتع غير المسرفة؛ أى كل ما لا يصرف عن خير أوعبادة أوعلم؛ فـ ـ"إن ا جميل يحب الجمال" [119]، وروى "الجميل" بنص الحديث الشريف:

- بلفظ "الجمال" ٦٧ مرة فى القرآن الكريم [120].

---

[119] - صحيح مسلم، دار ابن الهيثم ١٤٢٢هـ ـ - ٢٠٠١م، ص٣٣، باب ٣٦، من كتاب الإيمان، برقم (١)، بدءا من ص ١٥

+ عبد الحكيم العبد/ فى محاولات تقديم القرآن وترجمته والرد عليهـا: عرض وتقييم وتقويم، مراجعة مجمع البحوث الإسلامية، ١١/ ٧/ ٢٠٠٤م، ص١٢٢

[120] - عبد الحكيم العبد/ فى محاولات تقديم القرآن وترجمته والـرد عليها: عرض وتقييم وتقويم، مراجعة مجمع البحوث الإسـلامية، ١١/ ٧/ ٢٠٠٤م، ص١٢٠.

- فى "مظاهر التنعم بنعمة مسداة"، بالحلى وهكذا. ص ١٢٠

▪ وفى مضامين الزينة فى (١٣) صيغة، توزعت ٤٦ مرة وهكذا [١٢١].

▪ وفيه فراق ما "بين جميل الجمال وقبيحه" : كالكِبر – التبختر – الافتتان بالثراء الخ فى درسنا [١٢٢].

والمعروف أن القرآن كله بيان بالجمال ونظم به فى العربية لا يخلق ولا تنقضى عجائبه على كر الدهر. ومع دلائـل اسـتيلاء الجمال : شعرا وغناء وقيما على العرب والمسلمين بعد، ورغم مـا دحض من مقولة تضاد ذلك؛ فقد يشيع ولاسيما صدد فنون الحضارة الإسلامية الأخرى كالمعمار وآلات الغناء وغير ذلـك أن العـرب استمدوا فنهم من جملة من المدنيات القديمة التى ازدهـرت قـبلهم؛ حتى قيل : إن فن العرب امتداد للفنين البيزنطى والفارسى. وهـذا

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبـوى، ط بريـل، ليـدن، مـج ١، ص٢٧٣

١٢١ - وفى جميل الطبيعة والمظهر والامـتلاك والأبهـة والاعتقـاد والتبنى والاقتناء والاحتفال والتحلى/ن/ عبد الحكيم نفسه ص ١٢١

١٢٢ - عبد الحكيم العبد/ فى محاولات تقديم القرآن وترجمتـه والـرد عليها: عرض وتقييم وتقويم، مراجعة مجمع البحوث الإسـلامية، ١١/ ٧/ ٢٠٠٤م، ص١٢٢، ١٢٣

أخذ بالظاهرغير مخاص أوغير منصف.

الغناء

فى الغناء كانت مكة ضاحية للمدينة؛ ومـن كـل دور مغنيها تكونت أندية وإن لم تعرف بها دار كبيرة كدار جميلة بالمدينة [١٢٣]؛ اللهم ما ذكره شوقى ضيف بعد فـى قصـر الثريا بمكة [١٢٤]. وقد عدد شوقى ضيف ووصف لكل مـن :- من شغف من الفقهاء بالغناء – ومـن القضـاة – ومـن عرف بالمرح الواسع.

فملازمة الغناء للشعر عند العـرب عبـر العصـرين الجاهلى والإسلامى مقر بها عند ابن خلدون؛ قـال: "كـان الغناء فى الطور الأول من من أجزاء هذا الفن(يعنـى "علـم الأدب")؛ " كما هوتابع للشعر؛ إذ الغناء إنما هوتلحينه". [١٢٥]

---

١٢٣ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص ١٤٢

١٢٤ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف،ط ١٦، ص١٤٧

١٢٥ - ابن خلدون/ المقدمة، دار الكتاب اللبنانى، ص ١٠٧٠

وقد نظم رجال هذا الفن ونساءه فى طبقـات أسـوة بنوابـغ الأدب.

الطبقة الأولى: نشيط – طويس – سائب خاسر؛ وهـم بعض عباقرة الغناء فى المدينة

وفى الطبقة الثانية: معبد وطبقته – ابن سريج.

وهوالقائل : "وظهر بالمدينة نشيط الفارسى وطـويس وسائب خاثر مولى عبد ا بن جعفر فسـمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر. ثم أخـذ عـنهم معبـد وطبقته وابن سريج وأنظاره"[126].

عد الأصفهانى معبدا تلميذا أصله جميلة – قال "وهـى أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيلية والشماسيتان: خليدة وربيحة [127].

ولا شك أن هؤلاء الموهوبين ومن إليهم من الشـعراء الذين تُخُيروا معهم قد شكلوا نسبة كبيرة من الأصوات المائة

---

[126] - أبوالفرج الأصفهانى/ كتاب ا؟لأغانى لأبى الفرج الأصـفهانى، إعداد لجنة نشر كتاب الأغانى، بإشراف محمد أبوالفضل ابراهيم، همعك، ج ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٢٥، ٢٦

[127]- / الأصفهانى، ط جمال، مج ٨، ص ١٨٦

المختارة للغناء بأمر الخليفة العباسى هارون الرشيد فيما بعد؛ بواسطة ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وفلـيح بـن العوراء. [(١٢٨)] - وهويذكر من آلات العـزف فـى ذلـك : العيدان والطنابير والمعازف وكذا المزامير [(١٢٩)].

لقد استخدمت فى الغناء بالمدينة ستة ضروب (أدوار) ميزت فيها مجارى الأصوات على الأصـابع (السـلم بلغـة العصر الحديث)؛ كما استعملت فيه الجوقات الكبيرة واكتملت نظريته ولم تفقد أصالتها بألحان الروم والفرس.

والعود فى درس الموسيقى المتخصص محمود كامـل قد دخل بلاد العرب باسم البربط فى العصر الجـاهلى مـع نشيط الفارسى. كما وجد الطنبور آلة وتريه تشبه السمسمية اليوم، وهما من المعازف التى وجدها محمود كامـل تجمـع

---

[١٢٨] - مقدمة كتاب الأغانى للأصفهانى، همعك، ص٢

- وتابع رحلة الاختيار : نخلا وإضافة وتصنيفا، عبر العصر العباسى؛ مما شارك فيه خلفاء وأبناء خلفاء. وسائر الأصوات منبثـة فـى مجلدات كتاب الأغانىالأرعة والعشرين، فى ط همعك وط مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

[١٢٩] - ابن خلدون/ المقدمة، دار الكتـاب اللبنـانى، ص ٧٦٥، ومنـه المنقول بمقدمة تحقيق الأغانى، همعك، ص ٢٤، ٢٥

الوتريات؛ وأقدمها الرباب، ومنها الكمان فيما بعد؛ ولنـ ذكر مع محمود كامل أن أول آلة موسيقية حقا هى حنجرة الإنسان وفمه؛ وقد استخدمهما الجاهليون فى الصفير وهوالمكاء فـى تعبيرهم، كما استخدموا التصدية : أى التصفيق بالأكف[١٣٠].

ثم ذكر اكتمال صناعة الغناء أيام بنى العبـاس. [١٣١]

وقد سبق بياننا ضخامة علم العرب بالموسيقى ذات القيـاس الزمنى المحدد فى أجيال : الخليل – الجاحظ – الأصفهانى –

---

١٣٠ - محمود كامل/ تذوق الموسيقى العربية، ص٧٩، ٨٠

- وابن خلدون / المقدمة،.. ص ٧٦٥

١٣١ - قال: لدى ابراهيم بن المهدى وابراهيم الموصلى وابنه اسـحاق إلى اسحاق بن اسحاق هذا نفسه.

- كذا ذكر مؤدى الإتقان فى الغناء باتخاذ آلات الرقص فى الملـبس والقضبان والأشعار التى يترنم عليها، وجعلها صنفا وحده (لعلـه يقصد به الموشحات)

- ذكر اتخاذهم آلة أخرى للرقص تسمى الكرج (الحصان الخشبى)

- صرفهم زريابا غيرة منه إلى المغرب، حيث نزل لدى الحكـم بـن هشام بن عبد الرحمن الداخل الذى أكرمـه؛ وأنـه كـان غلامـا للموصليين.انتقل معه فنه إلى المغرب وأثر فيه.

إلى المعرى – والمصريين: الحسين بـن علـى المغربـى والمسبحى فى ق ٥ [١٣٢].

ويعزز من ذلك قول شوقى ضيف فى جانب التأصيل بالنهضة الغنائية/ الشعرية فى العصر الأموى أن الغناء قـد استوت نظريته عربية و"أن مصطلحاتها جميعا عربيـة وأن من قاموا عليها من الرقيق الأجنبى ولدوا فى بـلاد العـرب جميعا ما عدا نشيطا الفارسى [١٣٣]. وكانت العادة أن يبـدؤا بالغناء العربى ثم يرحلوا إلى بلاد الفرس والـروم فيأخـذوا عنهما غناءهم ويدخلوا ألحانه فى غناء العرب"، وقد عرفـت

---

١٣٢ - عبد الحكيم العبد – عن يوسف شوقى ودرسه ليوسـف فـارمر بكتابنا/ أبوالعلاء المعـرى ونظـرة جديـدة إليـه مـج ١، دار المطبوعات الجديدة، ص ٩٥، ١٨١، ١٨٢

- وينظر كتابنا/ علم العروض الشعرى فى ضوء العروض الموسيقى، ط غريب (مثلا) ص ١٥١+

١٣٣ - ذكر منهم: طويس – سائب خاسر – معبد – ابن عائشة – مالك الطائى – عطرد – يونس الكاتب٠الذى ينسب إليه أول كتاب فـى الغناء) – عزة الميلاء – جميلة – سلامة القس – حبابة – سـلامة الزرقاء -/ شـوقى ضـيف/ تـاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسلامى، دار المعارف، ١٦، ص١٤١

أكثر آلاته (الصنج – المزهر – القضيب – الدف – الطبل – المزمار – العود – الطنبور) فى العصر الجاهلى[134].

ووفقا لبحث ضيف نوضح المـدنى والمكـى مـنهم كالتالى:

في المدينة :-

(نشيط الفارسي ـ طويس ـ سائب خاسر ـ معبـد ـ ابن عائشة ـ مالك الطائي ـ عطرد ـ يونس الكاتب ـ عزه الميلاء ـ جميلة ـ سلامة القس ـ حبابة ـ سـلامة الزرقاء)

في مكة :-

(ابن مسجح ـ ابن محرز ـ ابن سريج ـ الأبجر ـ الهذلي ـ سمية ـ بغوم ـ أسماء)

الهندسية للزينة وإعطاء إحساس بالتواصل والأبديـة. وقد عرف هذا الفن باسم " الأرابسك " لخصوصه بهم، ومنه

---

[134] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ١٦، ص ١٤٠، ١٤١

ما وجد في قصر الحير بالقرب من تدمر من أفانين الزخرفة والتصوير العربي.

ولما فتح العرب الشام وفارس أخذوا بفن البناء فزادوا على فن غيرهم روحا خاصـة وامتـاز بنـاؤهم بالأعمـدة والمنحنيات والقباب وما إلى ذلك. ويستطيع الإنسان العـادى أن يلحظ مباشرة فرق ما بين برج بيزنطى أوفارسى ومسلة فرعونية ومئذنة إسلامية: غلاظة فى الأول وترقق فى الثانية؛ ولكن المئذنة تجرد من الصلابة والارتفاع فى الاثنـين قـوة رقيقة أورقة قوية توحى بالثبات والتسـاوى والوحـدة فـى التنوع وغير ذلك.

ومن ترجمتى عن ول ديورانت: أن العرب "طوعـوا الأشكال الفنية والتقاليد الخاصـة ببيزنطـة ومصروسـوريا والهلال الخصيب وإيران والهند". [١٣٥]؛ وضرب أمثلة مـن قبة الصخرة ومسجد الوليـد الثـانى وزخـارف السـجاد والأشكال الكنسية وزخارف الأعمـدة الساسـانية؛ وإن بـدا

---

١٣٥ - ول ديورانت / قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط جامعة الدول العربية، ج٢، مج٤ (عصر الإيمان)، فصل ٧ (الفـن) ص ٢٣٥+ ص ٢٣٩، ٢٤٠

الأولان بيزنطيين خالصـين حتـى فـى زخارفهمـا فـى رأيه.[(١٣٦)]؛ أما فى الشرق الأبعد قليلا فقد طوعت زخـارف السجاد الأشورى والبابلى القديم كما طوعت الأشكال الكنسية الأرمينية والنسطورية. وفى فارس (خاصة بعد تدمير كثيـر للأدب والفن الساسانى) فإن الإسلام خاط مزايا مجموعـات الأعمدة والقوس الممتد، وتلك الأساليب الخاصـة بالحليـات الزهرية والهندية التى ازدهرت أخيرا فى الأرابيسك متجاوزا التقليد إلى نسيج عبقرى ذى شخصية لها تنوعاتها المعبـرة عن الروح الإنسانية برقة فى غاية الثراء لم يشهد التاريخ لها مثيلا[(١٣٧)].

---

١٣٦ - تراجع أيضا ترجمة محمد بدران للكتاب أيضا فـى ط جامعـة الدول العربية، ص ٢٣٥/ كتاب قصة الحضارة (عصر الإيمـان) ج٢، مج ٤

١٣٧ - **The Art. v١١ – AH, p. ٢٦٠.**

- وول ديورانت / قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط جامعـة الدول العربية، **V AH,**، ص ٢٧٠،

- وفى ترجمة محمد بدران، عصر الإيمان، ج ٢، مـج ٤، فصـل ٧ (الفن)، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

وفى تقديره لجوانب الرقة والذوق مقابل الصلابة فلى المنشآت الإسلامية؛ حتى فى المرحلة الأموية قـال: " فيمـا يتعلق بالقصور الأموية فإن قليلا منها هوالباقى بعكس الشرق البعيد للبحر الميت؛ فما بقى هومنزل ريفـى فـى "قصـير عميرة" تظهر فيه الأنقاض حمامـات مسـقوفة بـالأقواس وحوائط مبطنة بالمونة"[١٣٨].

قال : وهى تقنيات معمارية لطيفة فى مقابل المعمـار الصلب المتبقى من آثار الفن الإسلامى، ونسمع صدده عـن عبارات مياه ونافورات وخزانات وخمامات عامـة ومـدن خصبة وحوائط مزغلة(للبنادق) بناها معماريون كـانوا فـى كثير من حالات القرون الأولى للفتح الإسـلامى مسـيحيين؛ ولكنهم بعد أن قرون كانوا مسلمين بشكل غالـب؛ حتـى إن الصليبيين تعلموا منهم الحوائط المميكنة وأفكارا كثيرة عـن قلاعهم وحصونهم التى لا قرين لها[١٣٩].

* * * *

[١٣٨] - نفسه، **The Art, p** ٢٧٠

[١٣٩] نفسه، وراجع ترجمة بدران ص ٢٤٠.

الفصل الرابع

مختارات من النثر والشعر

الرسائل

- كتاب صلح الرسول مع صاحب أيلة : يحنة بن رؤبة، حين قدم إليه بتبوك.
- من وجيز خطابة الرسول صلى ا عليه وسلم.
- خطبة الرسول(صلى ا عليه وسلم) فى حجة الوداع.
- رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء.
- من رسالة عبد الحميد الكاتب فى تعزيـة أهلـه عـن نفسه.

المحاورات:

- لسليمان بن سعد الخشنى رئيس كتاب الخليفـة عبـد الملك بن مروان يحذر يزيد بن عبد ا .

سجع المتنبئين:

- ما عدا به مسيلمة (الكذاب) على القرآن.

مختارات من شعر الصدر وبنى أمية :-

- رثاء قتيلة بنت الحارث فى أخيها النضر بن الحارث.
- ردى بعض عقلى لجميل بثينة.
- من مدرسة الغزل الصريح فى غير إفحاش/ عمر بـن أبى ربيعة(٢٣ – ٩٣هـ) (٦٤٤ – ٧١١م).
- من شعره:معرض الجواهر.
- الغدر فى الرجال.
- شاعر يرثى نفسه لمالك بن الريب.
- من المتشيعين لعلى بن أبى طالب وبنيـه: أبوالأسـود الدؤلى عمروبن سفيان (٦٩هـ - ٦٨٨م).
- من المتشيعين أيضا كثير عزة وهومن القائلين بالرجعة
- من المتشيعين أيضا الكميت الأسـدى وكـان شـيعيا غاليا(من شعره فى الخلافة).
- من المتحمسين لبنى أمية:أبوالعباس الأعمى(١٢٦هـ).
- من القائلين بالإرجاء حتى من بنى أمية: ثابت قطنة.
- من الشعراء القائلين بالإرجاء:عـون بـن عبـد بـن علقمةبن مسعود.

الرسائل

مرأن الرسائل تنوعت؛ ومنها: الديوانية – الشخصية – أصحاب الفلسفة والوعظ – أصحاب المذاهب الغامضة.

والنماذج التالية تستقل بنفسها فى العرض:

كتاب صلح الرسول مع صاحب أيلة : يحنة بن رؤبة، حين قدم إليه بتبوك

بسم ا الرحمن الرحيم. هذه أمنة من ا ومحمد النبى رسول ا ، ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة: سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر. لهم ذمة ا وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر وبحر"[(١٤٠)].

---

[١٤٠] - ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، مج ٤، ص ١٢٢.

- وإشارة إلى كتب مماثلة بالباب الثانى

من وجيز خطابة الرسول صلى ا عليه وسلم خطبته بعشر كلمات :-

قال أبوعثمان الجاحظ:

خطب النبى ﷺ بعشر كلمات. حمد ا وأثنى عليه ثم قال:

"أيها الناس، إن لكم كمعالم فانتهوا إلى معـالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم. إن المؤمن بين مخافتين: بـين عاجل قد مضى لا يدرى لا يدرى ما ا صانع بـه، وبـين آجل قد بقى لا يدرى ما قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسـه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبـرة، ومـن الحياة قبل الموت. فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار، إلا الجنة أوالنار"[(١٤١)].

خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع :-

قال ابن هشام: "قال ابن اسحاق:..مضـى رسـول ا ﷺ على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سـنن حجهـم

---

[١٤١] الجاحظ/ البيان والتبيين، حققه وقدم له المحـامى فـوزى عطوى، ط دار صعب، ج ١، ص ١٦٠

وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين فحمد ا وأثنـى عليه.."[142].

ومعرضها فى البيان والتبيين هو:

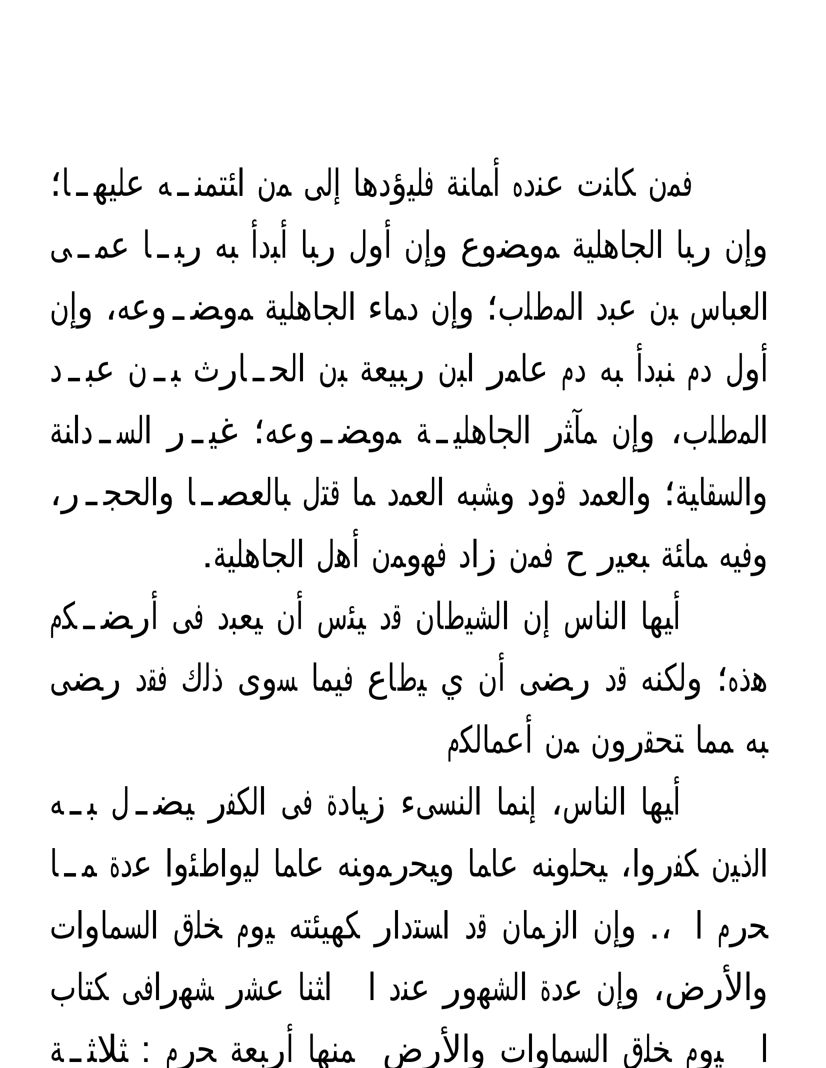
"الحمد نحمده ونستعينه ونشستغفره ونتـوب إليـه، ونعوذ با من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ح من يهـد ا فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له؛ وأشهد أن ألا إله إلا ا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسـوله. أوصيكم عباد ا بتقوى ا وأحثكم على طاعتـه وأسـتفتح بالذى هوخير.

أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا.

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلـى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

---

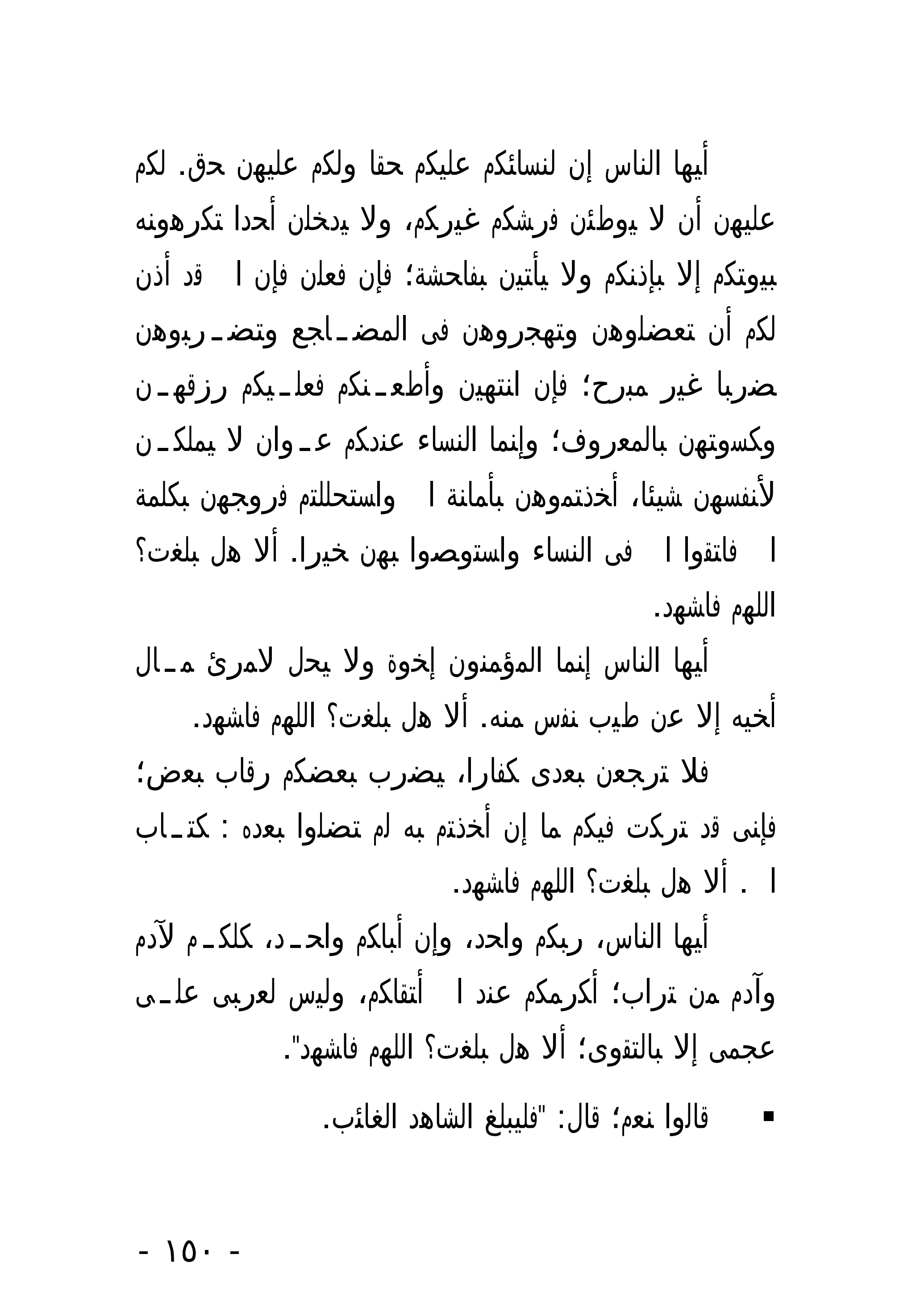
142 - ابن هشام/السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الـرؤوف سـعد، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى، ١٩١٨م، مج ٤، ص ١٨١، ١٨٢



فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنـه عليهـا؛ وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربـا عمـى العباس بن عبد المطلب؛ وإن دماء الجاهلية موضـوعه، وإن أول دم نبدأ به دم عامر ابن ربيعة بن الحـارث بـن عبـد المطلب، وإن مآثر الجاهليـة موضـوعه؛ غيـر السـدانة والسقاية؛ والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصـا والحجـر، وفيه مائة بعير ح فمن زاد فهومن أهل الجاهلية.

أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضـكم هذه؛ ولكنه قد رضى أن ي يطاع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم

أيها الناس، إنما النسىء زيادة فى الكفر يضـل بـه الذين كفروا، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة مـا حرم ا ،. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند ا اثنا عشر شهرافى كتاب ا يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم : ثلاثـة متوالية وواحد فرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم رجب الـذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.



أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإن ا قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضـاجع وتضـربوهن ضربا غير مبرح؛ فإن انتهين وأطعـنكم فعلـيكم رزقهـن وكسوتهن بالمعروف؛ وإنما النساء عندكم عـوان لا يملكـن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة ا واستحللتم فروجهن بكلمة ا فاتقوا ا فى النساء واستوصوا بهن خيرا. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مـال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدى كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتـاب ا . ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس، ربكم واحد، وإن أباكم واحـد، كلكـم لآدم وآدم من تراب؛ أكرمكم عند ا أتقاكم، وليس لعربى علـى عجمى إلا بالتقوى؛ ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد".

- قالوا نعم؛ قال: "فليبلغ الشاهد الغائب.

- أيها الناس إن ا قد قسم لكـل وارث نصـيبه مـن الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصـية فى أكثر من الثلث؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أوتولى غير مواليه فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منـه صـرف ولا عدل؛ واللام عليكم ورحمة ا "[١٤٣].

رسالة عمر بن الخطاب إلى أبـى موسـى الأشـعرى فـى القضاء :-

بسمة – حكم القضاء وأهميته – المساواة فى مجلـس القضاء – فى البينة واليمين والصلح – هل يرجع القاضـى فى حكم ظهر له عكسه – الاجتهاد ومنهجه فيما لـيس فيـه نص – عدالة الشهود وجرحهم – خلوص نية القاضى.

---

[١٤٣] - الجاحظ/ البيان والتبيين، حققه وقدم له المحامى فوزى عطوى، دار صعب، ج ٢، ٢٢٨، ٢٢٩

+ شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربـى: العصـر الإسـلامى، ط دار المعارف، ١٦، ص ١١٧- ١١٩

"بسم ا الرحمن الرحيم"

أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة؛ فافهم إذا أدلى إليك؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتـى لا يطمـع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك؛ والبينة على من ادعى واليمين على من أنكـرح والصـلح جـائز بـين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أوأحل حراما.

ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسـك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فإن الحق قديم ومراجعـة الحق خير من التمادى فى الباطل.

الفهم الفهم عندما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب ا ولا سنة النبى: اعرف الأمثال والأشباه وقـس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى ا وأشبهها بـالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا غائبا أوبينة أمدا ينتهى إلـيهح فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر.

المسلمون عدول بعضهم بعضـهم علـى بعـض إلا مجلودا فى حد أومجربا عليه شهادة زور أوظنينا فـى ولاء أوقرابة فإن الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات.

ثم إياك والقلق والضجر والتـأذى بالنـاس والتنكـر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر؛ فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبـين الله تبـارك وتعالى ولوعلى نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس. ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله؛ والسلام عليك"[١٤٤].

من رسالة عبد الحميد الكاتب فى تعزية أهله عن نفسه :-

"أما بعد فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالكره والسـرور وجعل فيها أقساما مختلفة : فمن درت له بحلاوتها وسـاعده الحظ فيها سكن إليها ورضى بها وأقام عليها؛ ومن قرصـته بأظفارها وعضته بأنيابها وتوطأته بثقلها قلاها نـافرا عنهـا وذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا منها. وقد كانت الـدنيا أذاقتنا من حلاوتها وأرضعتنا من درها أفاويق استحلبناها ثم

---

[١٤٤] - الجاحظ/ البيان والتبيين، تحقيق وتقديم المحامى فوزى عطوى، دار صعب، ج٢ ص ٢٣٧

شمست منا نافرة وأعرضت عنا متنكرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وأمرحلوها وخشن لينها ففرقتنا عن الأوطان وقطعتنا عن الإخوان فدارنا نازحة وطيرنا بارحة قد أخذت كل مـا أعطت وتباعدت مثلما تقربت وأعقبت بالراحة نصبا وبالجذَل هما وبالأمن خوفا وبالعز ذلا وبالجِـدة حاجـة وبالسـراء ضراء وبالحياة موتا لا ترحم من استرحمها سالكة بنا سـبيل من لا أوبة لـه منفيـين عـن الأوليـاء مقطـوعين عـن الأحياء"[145].

المحاورات

لسليمان بن سعد الخشنى رئيس كتاب الخليفـة عبـد الملك بن مروان يحذر يزيد بن عبد ا كاتب يزيد بن عبـد الملك من استدعائه أسامة بن زيد والى الخراج على مصر.

كان الخشنى يتقن العربية الرومية وهومعرب لـديوان الشام؛ لكن لم تؤثر عنه رسالة؛ ومع ذلك كشفت محاورتـه التالية عن سعة باعه فى البلاغة

---

145 - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصر الإسـلامى، ط دار المعارف، ١٦، ص ٤٧٩

- وبيان ضيف خصائص أسلوب عبد الحميد فيها بنفس الصفحة.

- قال: "أفتدرى ما مثلك ومثل أسامة؟
- قال : لا
- قال مثلك ومثله مثل حية كانت فى ماء وطين وبـرد؛ فإن رفعت رأسها وقع عليها حافر دابـة، وإن بقيـت ماتت بردا. فمر بها رجل فقالت: أدخلنى فـى كمـك حتى أدفأ ثم أخرج فأدخلها. فلمـا دفئـت قـال لهـا: اخرجى فقالت: إنى ما دخلت فى هـذا المـدخل قـط فخرجت حتى أنقر نقرة: إما أن تسلم منهـا وإمـا أن تموت. ووا لئن دخل أسامة أسامة لينقرنك نقرة إما أن تسلم معها وإما أن تموت".

والكلمة فى رأى الدكتور شوقى ضيف تدل على دقـة مداخلة ومسالكة لمرمى الإقناع؛ وإن فى نقله الـدواوين مـا يدل على سعة ثقافته التى تقترن بعذوبة المنطـق وتزيينـه بالألفاظ المستحسنة السائغة على نحوما توضحه كلمته[١٤٦].

---

[١٤٦] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٦٨.

سجع المتنبئين

منه عند ضيف عن الجاحظ مـا عـدا بـه مسـيلمة (الكذاب) على القرآن بأن أخذ بعضه وتعاطى أن يقارنه مما احتمل من قبيل قوله:

"سمع ا لمن سمع وأطعمه بالخير إذا طمع ولا يزال أمره فى كل ما سر نفسه يجتمع". رآكم فحياكم ومن وحشـة خلاكم ويوم دينه أنجاكم فأحياكم علينا من ضـلوات معشـر أبرار لا أشقياء ولا فجار.. يقومون الليل ويصومون النهـار لربكم الكبار رب الغيوم والأمطار"[١٤٧].

مختارات من شعر الصدر وبنى أمية

رثاء قتيلة بنت الحارث فى أخيها النضر بن الحارث:-

---

[١٤٧] شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى: العصر الإسلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ١١٣ ف٣

- ما يقبل وما لا يقبل لدينا/
- ونماذج قبلها الجاحظ من السجع ونماذج نهى عنها لعلة فـى/ البيان والتبيين، دار صعب، ج ١، ١٥٢ – ١٥٥ + ص ١٥٧ – ١٥٩

يا راكبـا إن الأثيـل مظنـة من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بهـا ميتـا بـأن تحيـة ما إن تزال بها النجائب تخفق

منى إليك وعبـرة مسـفوحة جادت بواكفها وأخرى تخنـق

هل يسمعنى النضر إن ناديتـه إن كان يسمع ميت لا ينطـق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشـه أرحـــام هنـــاك تشـــقق

صبرا يقاد إلى المنيـة متعبـا رسف المقيد وهوعان موثـق

* * *

أمحمد ولأنـت نسـل نجيبـة فى قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لومننت وربمـا من الفتى وهوالمغيظ المحنـق

أوكنت قابـل فديـة فليـأتين بأعز مـا يغلوا لـديك وينفـق

والنضر أقرب من أخذت بزلة وأحقهم إن كان عتـق يعتـق

قال أبوالفرج: "فبلغنا أن النبىﷺ قال: لوسمعت هـذا قبل أن أقتله ما قتلته"؛ فيقال: إن شعرها أكرم شعر موتـورة وأعفه وأكفه وأحلمه"[148].

---

[148] - أبوالفرج الأصفهانى/ كتاب الأغانى، مؤسسة جمال، مج١،، ص ١٨، ١٩ خبر مقتل عقبة والنضر بن الحارث

والنضر بعد هومن يذكر كتاب أسباب النـزول لأبـى الحسن النيسابورى أنه "كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقـول لهـم: إن محمدا ﷺ يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحـدثكم بحـديثِ رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن".

عد هذا المصدر هذه المعلومة أحد ثلاثة أسباب محتملة لنزول آية: "ومن الناس من يشترى لهوالحديث ليضل عـن سبيل ا بغير علم ويتخـذها هـزوا أولئـك لهـم عـذاب مهين"[149].

ردى بعض عقلى لجميل بثينة[150]

ألا ليت أيام الصفاء جديد

ودهرا تولى يا بثين يعود

---

[149] - النيسابورى؟ أسباب النزول، دار مكتبة الهـلال، بيـروت، ص ٢٤٤.

- والآية من سورة لقمان، ى ٦

[150] - جميل بن معمر/ ديوان جميل، تحقيق د. حسين نصار، دار مر للطباعة، ص ٦١ - ٦٧

فنغنى كما كنا نكون وأنتم

صديق وإذ ما تبذلين زهيد

وما أنس مِ الأيام لا أنس قولها

وقد قربت نِضوى أمصر تريد[151]

ولا قولها لولا العيون التى ترى

أتيتك فاعذرنى فدتك جدود

* * *

خليلى ما أخفى من الوجد ظاهر

فدمعى بما أخفى الغَداةَ شهيد

ألا قد أرى وا   أن رب عبرةٍ

إذا الدار شطت بيننا ستزود

إذا قلت مابى يا بثينة قاتلى

من الوجد قالت ثابت ويزيد

وإن قلت ردى بعض عقلى أعِشْ به

مع الناس قالت ذك منك بعيد

وما ذكر الخلان إلا ذكرتها

---

151 - النضو: المهزول؛ وفيها: نحوى؛ وبصرى/ جميل بـن معمـر/ ديوان جميل، تحقيق د. حسين نصار، دار مر للطباعة، ص ٦١

ولا البخل إلا قلت سوف تجود

إذا فكرت قالت قد ادركت وده

وما ضرنى بخل ففيم أجود

فلا أنا مردود بما جئت طالبا

ولا حبها فيما يبيد يبيد

* * *

جزتك الجوازى يا بثين ملامة

إذا ما خليل بان وهوحميد

وقلت لها بينى وبينك فاعلمى

من ا ميثاق لنا وعهود

وقد كان حبيكم طريفا وتالدا

وما الحب إلا طارف وتليد

وإن عروض الوصل بينى وبينها

وإن سهلته بالمنى لصعود

فأفنيت عيشى بانتظارى نوالها

وأبلت بذاك الدهر وهوجديد

فليت وشاةَ الناس بينى وبينها

يذوف لهم سما طَماطِم سود

وليت لهم فى كل ممسى وشارق

تُضاعفُ أكبال لهم وقيود

* * *

ويحسب نسوان من الحى أننى

إذا جئت إحداهن كنت أريد

فأقسِم طرف العين أن يعرفَ الهوى

وفى النفس دون بينهن بعيد

فأعرضن إنى عن هواكن معرض

تَماحلُ غيطان بكن وبيد

لكل لقاء نلتقيه بشاشة

وكل قتيل عندهن شهيد

عِلقْتُ الهوى منها وليدا ولم يزل

إلى اليوم ينْمى حبها ويزيد

فلوتُكشَف الأحشاء صودف تحتها

لِبثنة حب طارف وتليد

* * *

يذكرنيها كل ريح مريضة

لها بالتلاع القاويات وئيد

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بوادى القرى إنى إذن لسعيد

وهل ألقين سعدى من الدهر مرة

وما رث من حبل الصفاء جديد

وقد تلتقى الأهواء من بعد يأسةٍ

وقد تطلب الحاجات وهى بعيد

وهل أزجرن حرفا علاةً شِمِلةً

بخَرقٍ تباريها سواهِم قود

على ظهر مرهوب كأن نشوزه

إذا جار هلاك الطريق وفود

سبتنى بعينى جؤذَرٍ وسط ربرب

وصدر كفاثور الرخام وجيد

تَزِيف كما زافت إلى سِلِفاتها

مباهية طى الوِشاح ميود

إذا جئتها يوما من الدهر زائرا

تَعرض منقوص اليدين صدود

يصد ويغضى عن هواى ويجتَنآ

على ذنوبا إنه لَعنـود

فأصرمها عمدا كأنى مجانب

ويـُغفل عنا تارة فنعود

فمن يعط فى الدنيا قرينا كمثلها

فذالك فى عيش الحياة رشيد

يموت الهوى منى إذا ما لقيتها

ويحيى' إذا فارقتها فيعود

* * *

يقولون جاهد يا جميل بغزوة

وأى جهاد بعدهن أريد

ومن كان فى حبى بثينة يمترى

فبرقاء ذى صالٍ على شهيد

لئن كان فى حب الحبيب حبيبه

حدود لقد حلت على حدود

وأحسن أيامى وأبهج عيشتى

إذا هِيج بى يوما وهن قُعود

ألَـم تعلمى يا أُم ذى الودع أننى

أضاحك ذكراكم وأنتِ صلود؟!

من مدرسة

الغزل الصريح فى غير إفحاش

عمر بن أبى ربيعة(٢٣-٩٣هـ-٦٤٤-٧١١م)

أطال فى أخبار صاحب الأغانى فى المجلـد الأول كما عرف بنسبه، ونثر أخبار ما عِنِى به من شعره فى أكثر من مجلد[١٥٢].

وقد عرف به حنا الفاخور اجتماعيا من حيث المولـد والنشأة فقال: "من بنى مخزوم.. من أمنـع بيـوت قـريش وأعظمها جاها وثروة ونفوذا فى الجاهلية والإسلام". قـال: "ولد بالمدينة" [١٥٣]؛ وصحح شوقى ضيف بأنه ولد فى مكـة لنزول أبيه عبد ا بن أبـى ربيعـة بأمـه مجـد اليمنيـة

---

[١٥٢] - الأصفهانى/ الأغانى، مؤسسة جمال، مج ١، ص ٦١ – ٢٤٧
وخبر لعمر فى مج ١٧، ص ١٥٦ – ١٦٠
وخبر لعمر فى العذرى الآخر الجعد بن مهجع (أبوالمسهر)، مـج ١١، ص ١٦٩
وصوت يغنى لعمر ضمن المائة المختارة فى مج ٦، ص ٢٥٩

[١٥٣] - حنا الفاخورى/ تاريخ الأدب العربى، ط البولسية، ص ٣٥٥

أوالحضرمية فيها بعد هجرته من موطنه الأصلى [١٥٤]. وقال ضيف: " وبها نشأ ترعاه عين أمه الغريبة وكان جميلا فدللته يؤازرها فى ذلك ما ورثه عن أبيه من أموال وفيرة".

ويلتفت الفاخورى إلى ما يبدوأنه اسم أبيه قبل الإسلام وهو"بجير" كما يذكر أن مجدا كانـت سـببية ويلتفـت مـع الآخرين إلى أن الأب كان عاملا فى ولاية الجند باليمن مـن قِبل النبى إلى عهد عثمان حين حضر لنصرته فـى الفتنـة فوقع عن راحلته قرب مكة فمات سـنة ٣٥هـ ـ. ويكتفـى الفاخورى بكلمة (محمد)؛ ويفوته الكثير بسبب ذلك.

وعرف به مقدم ديوانه وناشره فى طبعة دار صـادر: شاعرية ومذهبا قائلا: "لم تكن العرب تقر لقـريش بالشـعر حتى نبغ ابن أبى ربيعة فأقرت لها به كما أقرت لها بالشرف والرياسة".

قال: "وكان جرير إذا أنشد شعر عمر قال: هذا شـعر تهامى إذا أنشد وجد البرد(يعنى أنه رقيق غير جزل) حتـى أنشد رائيته(أمن آل نُعم على مايبدو)الشهيرة فقال: مـا زال

---

[١٥٤] شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى، العصـر الإسـلامى، ط دار المعارف، ط ١٦، ص ٣٤٩

هذا القرشى يهذى حتى قال الشعر: وسمع الفرزدق شيئا من نسيبه فقال: هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكـت الديار ووقع هذا عليه"؛ وسئل حماد الراوية عن شعره فقال: ذاك الفستق المقشر".

وقال المقدم"وابن أبى ربيعة –وإن لم يعد من أصحاب الطبقات- فقد طارت له فى الغزل شـهرة يحسـده عليهـا أكثرهم؛ واعترف له بالشاعرية كبار الشعراء" [155].

وكذلك وقف على سِمتى: الرقة والقصصية فى قصائده ثم على ظاهرة تقلبه فى الحب وسبره لنفسية المرأة وبعـض نرجسياته وقابلية شعره للغناء وما يعتريه أحيانا من إسـفاف معيب وهذيان فنى مستحب[156].

ويذكر الباحثون توبته أواخر عمره؛ وفى ديوانـه مـا ينـم عن ذلك. من أبرز سماته الغزلية الوصـف الجمـالى السخى المترف، قدرته على التحدث بلسان المرأة وحالها فى

---

[155] - عمر بن أبى ربيعة/ديوان عمر بن أبى ربيعة،دار صادر، ص5

[156] - عمر بن أبى ربيعة/ديوان عمر بن أبـى ربيعـة،دار صـادر، ص٨، ٩

- وراجع رائيته الكبيرة بالديوان نفسه، ص ١٢٠ - ٢١٢

الحب خاصة؛ مما لعله يعرف عن نزار قبانى فى عصـرنا وعن د. هـ. لورنس فى الإنجليزية أيضا.

من شعره : معرض الجواهر[157]

لِمن الـديار رسـومها قفـر	لعبت بها الأريـاح والقطْـر
وخلا لها من بعـد سـاكنها	حجج خلون ثمـان اوعشـر
لأسـيلة الخـدين واضـحة	يعشى' لسنة وجههـا البـدر
درم مرافقُهـا ومئزرهـا	لا عـاجز تَفِـل ولا صِـفر
والزعفران علـى ترائبهـا	شرقت به اللبـات والنحـر
وزبرجد ومن الجمـان لـه	سلس النظـام كأنـه جمـر
وبدلئد المرجان فـى قَـرنٍ	والـدر واليـاقوت والشـذْر

الأبيات المنجم آخرها غناها سائب خـاثر فـى قـول محمود كامل على مثل غناء نشيط الفارسى، من الغناء المتقن الصنعة على الميزان البطىء المسمى بالثقيل.[158]؛ ويمكـن

---

[157] - عمر بن أبى ربيعة/ ديوان عمر بن أبى ربيعة، دار صادر، ص ١٦٤

[158] - محمود كامل/ تذوق الموسيقى العربية،.، ص ١٦

محاكاة اللحن فى ضوء جـدولنا فـى الإيقاعـات العربيـة القديمة.[159]؛ وثمة العديد مما اختير للغناء مـن مقطوعـات شعر عمر فيما أشرنا؛ غير أن مطولته المنوه بهـا والتـى مطلعها:

أمن آل نُعمٍ أنت غاد فمبكِر غداة غد أم رائح فمهجر

تحكى قصة مغامرة عاطفية خطيرة وتعتبر نموذجا لفن القصة فى الشعر العربى؛ مما يمكن أن يغـرى موسـيقيينا الكبار اليوم بتحويله إلى قصيد سيمفونى، صـنيع عديـدين ذكرتهم فى ورقة خاصة ومنهم مـثلا تشايكوفسـكى علـى قصيدة لبوشكين فى أوبرا "اين أنيجين"[160].

الغدر فى الرجال

أبكيتَ من طرب أبا بِشْرِ

وذكرت عثْمةَ أيما ذِكْرِ

---

[159] + عبد الحكيم العبد/ علم العروض الشعرى فى ضوء العـروض الموسيقى، ط خاصة، ص ٤٦

+ ط غريب، ٢٠٠٤م

[160] - من كتابنا المجهز/ بين الأدب والفنون فـى أكاديميـة الفنـون، مارس ٢٠٠٦م، (الورقة الأولى).

وهى التى لما مررتَ بها

فى الطوفِ بين الركن والحِجر

قالت حصان غير فاحشة

فسمعت ما قالت ولم تدر

لمناصف خُردٍ يطفن بها

مثل الظباء يكِدن بالسدر

هذا الذى يسبى الفؤاد ولا

يكنَى' ولكن باح بالشعر

إن الرجال على تآلفهم

طُبِعوا على الإخلاف والغدر[١٦١]

شاعر يرثى نفسه لمالك بن الريب

الشاعر هومالك بن الريب المازنى التميمى المتـوفى سنة ٦٠هـ على لأرجح.

---

١٦١ - عمر بن أبى ربيعة/ ديوان عمر بن أبى ربيعة، دار صادر، ص ٢٠٦

اشتهر بالمنَعة وتأييد الحق وبرثائه لنفسه. ربما كـان الزعم بأنه مارس الصعلكة مع ثلاثة آخرين تميميين كان فى حقيقته سخطا على الأمويين وعلى أسلوب المدح السياسى؛ لا لمجرد السخط على انقطاع الأعطيات.

يوصف كفه عن عصيان الأمويين بأنـه توبـة عـن الصعلكة على يد سعيد بن عثمان بن عفان الذى استصـحبه إلى خراسان فأظهر الحرص على الجهاد فى الطريق وفـى القبائل الصفَدية والتركية وغيرها إلـى بخـارى وسـمرقند وترفـد؛ وليعـود بعـد الانتصـارات والمعاهـدات إلـى مـروللاستراحة؛ وليموت مرجعه من خراسـان فـى سـن الأربعين.. بعد أربع سنوات من التوبة والجهاد.

له أبيات فى الحنـين إلـى الأهـل اسـتوحاها منـه غيره[١٦٢]؛ ولكن قصيدته ذات الـ ٥٥ بيتا المحققة فى رثـاء نفسه أطول قصيدة فى هذا النوع؛ قبل منها د. محمد عبـد المنعم عبد الكريم(٥١) بيتا فقط لاستواء نسـجها،؛ وتقبـل

---

١٦٢ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ٥٢-٥٤

أربعة أخرى آنس قربها إلى الأصل [١٦٣] واستبعد منها(١٥) بدرس نصى علـى مسـتوى المعـانى وبـبعض القـرائن التاريخية؛ ولكنها أطول من مراثى ثمانيـة شـعراء عـرب آخرين رثوا أنفسهم. لا تقربها طولا حتى مرثية عبد يغـوث الحارثى ذات الـ(٢٠) بيتا؛ التى اتخذت نفس بحـر مرثيـة مالك بن الريب وقافيتها اليائية[١٦٤].

تتميز القصيدة بوحدة التجربـة والمـذاق وتتضـمن أغراضا فى الشوق والفخر والوصف والموعظة كما تظهـر فيها الآثار الإسلامية فـى رقـة الأسـلوب وتهذيبـه [١٦٥]،

---

١٦٣ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ٧٦

١٦٤ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ٥-٧

- والبحر هوالطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعِلُن.

١٦٥ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص (الفصل الرابع).

وتحكمها النظرة الكلية على مستوى اللوحة فاللوحة؛ وتمتـاز بموسيقية ألفاظها العربية وقافيتها اليائية ونغمها الداخلى فـى الصيغ: أحوالا وتَكرارا وصحبة وتقابلا وطبيعة فى الكلمـة نفسها[١٦٦].

قيم الباحث المذكور شاعرية مالك بن الريب فى ضوء تقييم الأقدمين له ةلاسيما القرشى وفى ضوء اختيار بعـض شعره للغناء عصـر الرشـيد[١٦٧]. وفـى ضـوء بعـض المقارنات؛ ورآها تتفوق على مثلها فى مرثية عبـد يغـوث الحارثى: صنعة وذوقا ومنهجا وروحا؛ رغم اتفاقهمـا فـى الغرض العام والموضوع والشكل الخـارجى[١٦٨]؛ ورغـم

---

١٦٦ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ١٣٤

١٦٧ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ١٣٨

١٦٨ - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ١٦٢

السبق التاريخى وبعض تأثر لمالك منه؛ ومنـه أخـذه فـى البيت:

فياراكا.................*...........................

.[169]

مختار شوقى ضيف من القصيدة [170]

ألا ليت شِعرى هل أبيتن ليلة

بجنب الغضا أزجى القِلاص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه [171]

---

[169] - محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم(العربى)/ شاعر يرثى نفسه، دراسة نقدية ليائية مالك بن الريب المازنى التميمـى، ط الأمانـة، شبرا، ١٩٩٧م، ص ١٤٩

[170] - شوقى ضيف/ التطور والتجديـد فـى الشـعر الأمـوى، دار المعارف، ط ٩، ص ٣٣٢

[171] - عرضه بالفتح: ضد الطول و(الاتساع)

وبالضم: عرضه: جانبه

وعُـرضه بالاثنتين: نحوه أومثله

عِرض بالكسر السوء وما يمس النسب

وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

ألم ترنى بعت الضلالة بالهدى

وأصبحت فى جيش بن عفان غازيا

فلله درى يوم أترك طالعا

بنى بأعلى الرقمتين وماليا

لَعمرى لئن غالت خراسان هامتى

لقد كنت عن بابى خراسان نائيا

فيا صاحبى رحلى دنا الموت فاحفِرا

برابية إنى مقيم لياليا

أقيما على اليوم أوبعض ليلة

ولا تعجلانى قد تبين شانيا

وخُطا بأطراف الأسنّة مضجعى

وردا على عينى فضلَ ردائيا

ولا تحسدانى بارك ا فيكما

والعِرض والعراضة على الاتصاف فهوعريض وعراض: من عرض.

من الأرض ذات العرض أن توسِعا ليا

خذانى فجرانى بثوبى إليكما

فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت

سريعا لدى الهيدا إلى من دعانيا

غداة غد يا لهفَ نفسى على غد

إذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا

تذكرت من يبكى على فلم أجد

سوى السيف والرمح الردينى باكيا

وبالرمل منا نسوة لوشهدننى

بكين وفدين الطبيب المداويا

فمنهن أمى وابنتاى وخالتى

وباكية أخرى تهيج البواكيا

وما كان عهد الرمل عندى وأهله

ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا

من المتشيعين لعلى بن أبى طالب وبنيه

أبوالأسود الدؤلى عمروبن سفيان(٦٩هـ - ٦٨٨م)

وفيهم يقول:

يقـول الأرذلـون بنوقشـير   طوَال الـدهر لا تنسـى' عليـا

بنـــوعم النبـــى وأقربـــوه   أحـــب النـــاس كلهـــم اَليـــا

أحبـــوه كحـــب ا   حتـــى'   أجىء كم بعثـتُ علـى هويـا

فإن يك حبهم رشـدا أصـبه   ولست بمخطئ إن كان غَيـا[172]

[172] - أحمد أمين/ ضحى' الإسلام، ط الهيئة، ص ٤٤٠

من المتشيعين أيضا

كثير عزة وهومن القائلين بالرجعة [١٧٣]

ألا إن الأئمـة مـن قـريش ولاة الحـــق أربعـــة ســـواء

علـى والثلاثـة مـن بنيـه هم الأسباط لـيس بهـم خفـاء

فسبط سـبط إيمـان وبـر وســـبط غيبتـــه كـــربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتـى يقـود الخيـل يقـدمها اللـواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى' * عنده عسـل وماء[١٧٤]

---

١٧٣ - "أساس هذه العقيدة.. قول ابن سبأ بالرجعة ونقلها عن اليهوديـة وأن الشيعيين فشلوا فى أول أمرهم فى تكوين مملكة ظاهرية على وجه الأرض وعذبوا وشردوا.. فخلفوا لهم أملا من الإمام المنتظر والمهدى ونحوذلك" / أحمد أمين / ضحى الإسلام، ص ٤٣٣

١٧٤ - أحمد أمين/ ضحى' الإسلام، ط الهيئة، ص ٤٣٣

من المتشيعين أيضا الكميت الأسدى وكان شيعيا غاليا ومن شعره فى الخلافة

يقولون لم يورث ولولا تراثه

لقد شركت فيه بجيل وأرحب

ولانتشلات عضوين منها يجابِر

وكان لعبد القيس عضوموورب

فإن هى لم تصلح لحى سواهمو

إذاً فذووا القربى أحق وأقرب

فيالك أمرا قد أشتت جموعه

ودارا ترى أسبابها تتقضب

تبدلت الأشرار بعد خيارها

وجد بها من أمة وهى تلعب[175]

---

[175] - أحمد أمين/ ضحى' الإسلام، ط الهيئة، ص ٤٤٠

من المتحمسين لبنى أمية أبوالعباس الأعمى (١٢٦هـ)

هوالسائب بن فروخ مولى جذيمة بن على.. من بنـى عبد مناة. معدود مقدم فى مدح الأمويين. روى الحديث عـن صدر من الصحابة، وروى عنه عطاء وعمروبن دينار[١٧٦].

من شعره فى بنى أمية:

ليت شعرى أفاج رائحة المسك وما إن إخال بـالخيف إنسى.

حـين غابـت بنوأميـة عنـه والبهاليل من بنى عبد شـمس

خطباء على المنـابر فرسـا ن عليها وقالة غيـر خـرس

لا يعابون صامتين وإن قـا لوا أصابوا ولم يقولوا بلـبس

بحلـوم إذا الحلـوم اسـتخفت ووجوه مثـل الـدنانير ملـس

وقال:

١٧٦ - الجاحظ/ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجى، ص ٣١٨

ولم أر حيا مثل حـى تحملـوا إلى الشام مظلومين منـذ بريـت
أعز وأمضى حين تشتجر القنا وأعلم بالمسـكين حيـث يبيـت
وأرفق بالدنيا أولـى سياسـة إذا كاد أمـر المسـلمين يفـوت
إذا مات منهم سيد قـام سـيد بصير بعورات الكلام زميت[177]

من القائلين بالإرجاء حتى من بنى أمية

ثابت قطنة

"وكان من صحابة يزيد بن المهلب يوليه أعمالا مـن أعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكتابته وشجاعته".

"قصيدته فى الإرجاء تعد وثيقة فى توضـيح مـذهبهم رواها أبوالفرج فى الأغانى؛ منها" :

يا هند فاستمعى لى إن سيرتنا
أن نعبد ا لم نشرك به أحدا

---

[177] - الجاحظ/ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجى، ص ١٣٢، ١٣٣

- وراجع أخبار أبى العباس الأعمى فى الأغانى،ط مؤسسة جمال، مج ١٦، ص ٢٩٨ - ٣٠٦

نرجى الأمور إذا كانت مشبهة

ونصدق القول فيمن جار أوعنَدا

المسلمون على الإسلام كلهم

والمشركون استووا فى دينهم قِددا

ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا

مِ الناس شركا إذا ما وحدوا الصُعدا

لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا

سفك الدماء طريقا واحدا جددا

من يتقى ا فى الدنيا فإن له

أجر التقى إذا وفى الحساب غدا

وما قضى ا من أمر فليس له

رد وما يقضِ من شىء يكن رشَدا

كل الخوارج مخْطٍ فى مقالته

ولوتعبد فيما قال واجتهدا

أما على وعثمان فإنهما

عبدان لم يشركا با   مذ عبدا

وكان بينهما شغْب وقد شهدا

شق العصا وبعين ا   ما شهدا

يجزى عليا وعثمانا بسعيهما

ولست أدرى بحق أيةً وردا

ا   يعلم ماذا يحضران به

وكل عبد سيلقى ا   منفردا(١٧٨)

---

١٧٨ أحمد أمين/ ضحى الإسلام، الهيئة، ص ٤٤٥، ٤٤٦

من الشعراء القائلين بالإرجاء عون بن عبد بن علقمة بن مسعود وكان من أهل الفقه والأدب :-

قال لدى رجوعه عن القول بالإرجاء:

فأول ما أفـارق غيـر شـك   أفـارق مـا يقـول المرجئونـا

وقالوا مـؤمن مـن آل جـور   ولـيس المؤمنـون بجائرينـا

وقـالوا مـؤمن دمـه حـلال   وقد حرمت دماء المؤمنينـا [١٧٩]

---

[١٧٩] - أحمد أمين/ ضحى' الإسلام، ط الهيئة، ص ٤٤٧

الفصل الخامس

من أعلام العصر الصدر وبنى أمية

- محمد صلى الله عليه وسلم
- واصل بن عطاء
- عبد الحميد الكاتب
- عبد الله بن قيس الرقيات
- توبة وليلى الأخيلية

محمد بن عبد ا
(صلى ا عليه وسلم)

نسبه:

قال ابن قيم الجوزية: "شهد له بعلوالنسب أعداؤه حتى أبوسفيان قبل أن يسلم بين يدى ملك الروم؛ فهو ابن عبد ا بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كـلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالـك بـن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مد بن عدنان؛ لا خلاف فيه إلى هنا البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه "[١٨٠]. يقصد فيما يصله (ﷺ) بآدم أبـى البشر.

"مولده ونشأته وبعثته" عند الزيات (١٨١):

---

[١٨٠] - ابن القيم الجوزية/ زاد المعاد فى هدى خير العباد، مطبعة السنة المحمدية، ص ٢٨

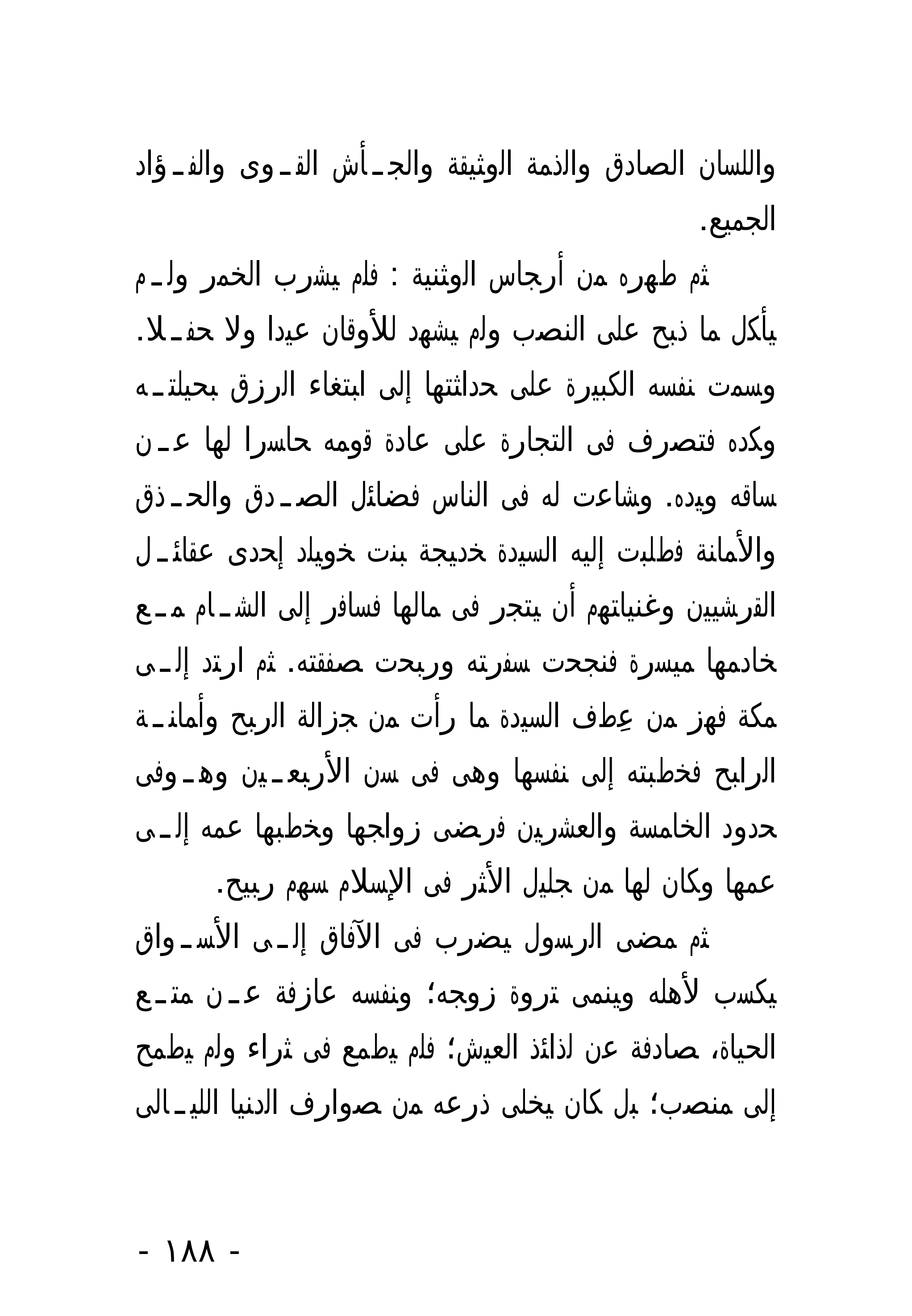
[١٨١] - **أحمـــــد حســــــن الزيـــــات (١٨٨٥ – ١٩٦٨)** **http://www.elbehira.com/wmview.php?ArtID=١٧٠٢**

"ولد سيدنا محمد بن عبد المطلب بن هاشم فى مكـة، صباح اليوم التاسع أوالثانى عشر من شهر ربيع الأول لأول عام من حادثة الفيلأواليوم العاشر من شهر إبريل سنة ٥٧١ للميلاد فى مهد اليتم والعدم؛ فقد استوفى أبوه ظِم حياته حين كان هوجنينا. ولم يكد يحبو للسادسة من عمره حتى اسـتأثر ا بأمه فحضنه جده سنتين حضامة إعـزاز ومحبـة. ثـم أوصى به قبل وفاته إلى أبى طالب شقيق أبيه، فكفله علـى رقة حاله وكثرة عياله.

ولوجرى الأمر على منهاج الطبيعة لشب محمد علـى أخلاق اليتامى وعادِ الجاهلية، ولكن ا تولى تأديبه وتهذيبه فكمله بالعقل الرجيح والخلق السجيح والنفس الرضية والحياء الوقور والحلم الرقيق والصبر المطمئن والصـفح الجميـل

+ عبد الحكيم العبد/ الجهود البلاغيـة عنـد أحمـد حسـن الزيـات، ماجستير، بكلية الآداب، جامعـة الإسـكندرية ١٩٧٦م، ص ٧٥: (٤/٢ / ١٨٨٥م).

- والترجمة من كتاب الزيات/ تاريخ الأدب العربى، ط٢٥، ص ١٧٧ - ١٨١


واللسان الصادق والذمة الوثيقة والجـأش القـوى والفـؤاد الجميع.

ثم طهره من أرجاس الوثنية : فلم يشرب الخمر ولـم يأكل ما ذبح على النصب ولم يشهد للأوقان عيدا ولا حفـلا. وسمت نفسه الكبيرة على حداثتها إلى ابتغاء الرزق بحيلتـه وكده فتصرف فى التجارة على عادة قومه حاسرا لها عـن ساقه ويده. وشاعت له فى الناس فضائل الصـدق والحـذق والأمانة فطلبت إليه السيدة خديجة بنت خويلد إحدى عقائـل القرشيين وغنياتهم أن يتجر فى مالها فسافر إلى الشـام مـع خادمها ميسرة فنجحت سفرته وربحت صفقته. ثم ارتد إلـى مكة فهز من عِطف السيدة ما رأت من جزالة الربح وأمانـة الرابح فخطبته إلى نفسها وهى فى سن الأربعـين وهـوفى حدود الخامسة والعشرين فرضى زواجها وخطبها عمه إلـى عمها وكان لها من جليل الأثر فى الإسلام سهم ربيح.

ثم مضى الرسول يضرب فى الآفاق إلـى الأسـواق يكسب لأهله وينمى ثروة زوجه؛ ونفسه عازفة عـن متـع الحياة، صادفة عن لذائذ العيش؛ فلم يطمع فى ثراء ولم يطمح إلى منصب؛ بل كان يخلى ذرعه من صوارف الدنيا الليـالى

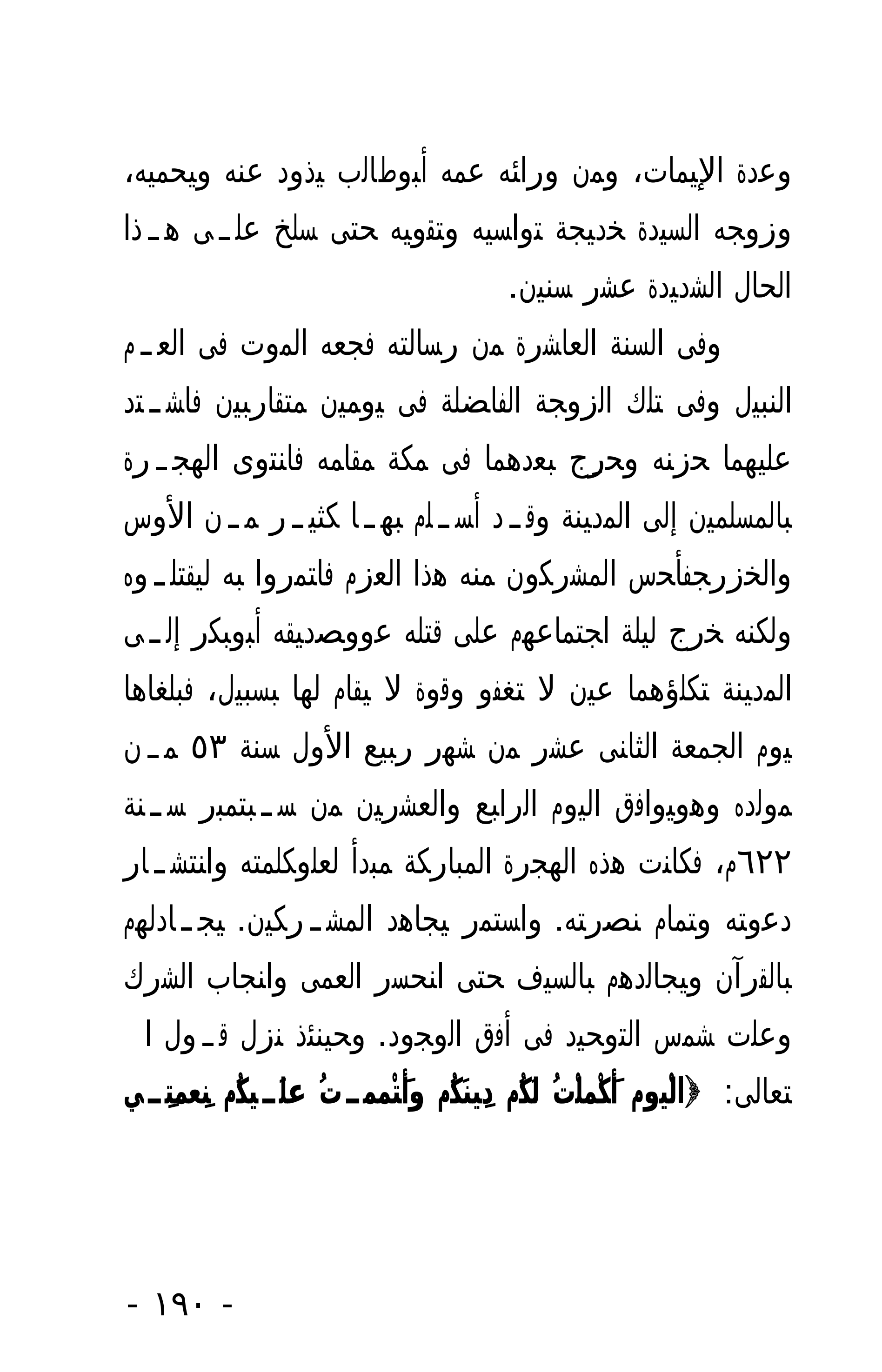
الطوال فيعتكف فى غار حراء يتعبد ويتأمل ويتجه بروحه الصافى اللطيف إلى الملأ الأعلى حت أوحِى إليه فـى هـذا الغار بالرسالة والمعجزة وعمره يومئذ أربعون سنة قمريـة وستة أشهر فانقاب إلى زوجه مضطربا فطمأنتـه وقالـت " واللذى نفس خديجة بيده لا يخزيك ا أبدا؛ إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق.

وفتر الوحى مدة ثم نزل على قلبه الروح الأمين بقول ا تعال: ﴿**ياأيها المدثر* قُم فَأَنْذِر* وربك فَكَبر**﴾ [١٨٢] فقام بأعباء الرسالة والتبليغ ثلاث حجج فى طى الخفاء. ثم أمـر أن يصدع بالدعوة فعالن بها قريشا وسفه أحلامهـا وعـاب أصنامها فكاشفوه بالعداء[١٨٣] وقصدوه بالإيذاء ونصبوا لـه الحبائل وتربصوا به الدوائر وهويتلقى كل ذلك بجنة الصبر

---

[١٨٢] - السياق ص ١٧٨ ونسخا من: القرآن الكـريم مـع التفسـير، الإصـــدار الثالـــث، إنتـــاج موقـــع روح الإســـلام. (**www.islamspirit.com**)

[١٨٣] - بالفتح من الثلاثى : عدا؛ لا من الرباعى: عادى؛ حيث العدوان من من طرف واحد.



وعدة الإيمات، ومن ورائه عمه أبوطالب يذود عنه ويحميه، وزوجه السيدة خديجة تواسيه وتقويه حتى سلخ علـى هـذا الحال الشديدة عشر سنين.

وفى السنة العاشرة من رسالته فجعه الموت فى العـم النبيل وفى تلك الزوجة الفاضلة فى يومين متقاربين فاشـتد عليهما حزنه وحرج بعدهما فى مكة مقامه فانتوى الهجـرة بالمسلمين إلى المدينة وقـد أسـلم بهـا كثيـر مـن الأوس والخزرجفأحس المشركون منه هذا العزم فاتمروا به ليقتلـوه ولكنه خرج ليلة اجتماعهم على قتله عووصديقه أبوبكر إلـى المدينة تكلؤهما عين لا تغفو وقوة لا يقام لها بسبيل، فبلغاها يوم الجمعة الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٣ مـن مولده وهويوافق اليوم الرابع والعشرين من سـبتمبر سـنة ٦٢٢م، فكانت هذه الهجرة المباركة مبدأ لعلوكلمته وانتشـار دعوته وتمام نصرته. واستمر يجاهد المشـركين. يجـادلهم بالقرآن ويجالدهم بالسيف حتى انحسر العمى وانجاب الشرك وعلت شمس التوحيد فى أفق الوجود. وحينئذ نزل قـول ا تعالى: ﴿**الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممـتُ علَـيكُم نِعمتِـي**

ورضيتُ لكُم الْإِسلَام دِينًا﴾[184] فلم يأت على نـزول هـذه الآية الكريمة ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول بالحمى ولحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى يوم الإثنـين ١٣ مـن ربيـع الأول سـنة ١١ هجريـة، ٨ مـن يونيوسـنة ٦٣٢ ميلادية"[185].

وقال الزيات فى "صفته" ﷺ :

"وصفه بعض من رآه قال: كان رسول ا ﷺ فخمـا يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطـول مـن المربـوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقـت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هـووفره؛ أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ مـن غيـر

---

184 - االسياق ص ١٧٨، ١٧٩ونسخا من: القرآن الكريم مع التفسير، الإصـدار الثالـث، إنتـاج موقـع روح الإسـلام. (**www.islamspirit.com**)

185 - أحمد حسن الزيات/ تاريخ الأدب العربـى، ط٢٥، ص ١٧٧ - ١٨١

قرن[١٨٦]، بينهما عِرق يدره الغضب؛ أقنى العرنين [١٨٧]، له نور يعلوه ويحسبه من يتأمله أشم؛ كث اللحية أدعج، سـهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة، كـأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة؛ معتدلَ الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصـدر بعيـد مـا بـين المنكبـين ضـخم الكراديس[١٨٨] أشعر الذراعين والمنكبين وأعـالى الصـدر طويل الزندين رحب الراحة شثْن[١٨٩] الكفين والقدمين سائل الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القـدمين ينبوعنهما الماء. إذا زال زال تقدما ويخطوتكفـؤا ويمشـى هونا؛ ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط مـن صـبب وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطـرف، نظـره إلـى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظـة، يسـوف نظره ويبدأ من لقيه بالسلام. وكان صـلى ا عليـه وسـلم

---

[١٨٦] قرن: بفتح العين: اتصال على الاتصاف؛ قرن بالتسـكين علـى الفعلية المصدرية

[١٨٧] : مائل مرتفع الأنف

[١٨٨] : رؤوس العظام

[١٨٩] : خشن غليظ

متواصل الأحزان دائم الفكرة طويل السكوت يفـتح الكـلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم؛ دمثا ليس بالجـافى ولا المهين. إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث فبصفاء الحس ومحض السليقة وثقوب الذهن وتمكن اللسـان ومؤازرة الوحى؛ فكان يقتضب ويتجـوز ويشـتق ويـنهج المذاهب البيانية ويرتجل الأوضاع التركيبية ويضع الألفـاظ الاصطلاحية فيصبح ما ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان وسرا من أسرار اللسان يزيد فى ميراث اللغة ويرفـع من قدر الأدب، كقوله عليه الصلاة والسلام : مات حتف أنفه – الآن حمى الوطيس – هدنة على دخَن – يا خيل ا اركبى – لا ينتطح فيها عنزان؛ وقوله لحادى النساء: رويدك! رفقا بالقوارير؛ وقوله فى يوم بدر: هذا يوم له ما بعده. ناهيك بما استحدثه عليه الصلاة والسلام من أسـاليب الـدين وألفـاظ الشريعة مما لم يأت به الكتاب".

معجزات النبى الحسية فى أبحاثنا:

أ- منها نطقه بالقرآن دونما مقدمات إبداعية أوتعلمية.

ب- تبشير القرآن بنصر ا لـروم فـى ذات وقـت هزيمتهم وتحقق ذلك فى بضع سنين بصريح قـول

القرآن الكريم.

ج- تحول "جذل" وهوأصل شـجرة أعطـاه الرسـول لعكاشة بن محصن : إلى سيف طويل القامة شـديد المتن" فى بدر[190].

د- إخبار ا لنبيه يـوم بنـي النضـير بنيـة إلقـاء الحجر(الرحا). خبر المرأة التي وضعت السم للنبي بعد الخندق. والمشهود أن النبي عرف الأمر وأخبر به نبيه، بينما مات الصـحابي الـذي أكـل مـن اللحم[191].

---

[190] - ابن هشام السيرة النبوية، دار إحياء الكتـب العربيـة، ٢، ص ١٩٨

[191] - عبد الحكيم العبد/ فى محاولات تقديم القرآن وترجمتـه، ه ص ٤١. ولمراجعة معجزات النبي صلى ا عليه وسلم يرجـع إلـى كتاب أحمد رجب محمد، ط صبيح ١٩٧١م، وهي بعد منبثة فـي الصحاح مشهورة.

- وفى حوادث الرحا وسم اللحم يرجع أيضا إلـى / أحمـد شـلبى/ التاريخ الإسلامى (١)، ط ٥، ص ١٦٥، ١٦٦، ١٧١

ويتبين من متابعة حوادث الســيرة النبويــة أن مــن معجزات الرسول تنبؤات عديدة بمستقبل رجــال وحــوادث؛ ومن ذلك:

ه- قوله: "كن أبا خثيمة" فإذا هوقادم لمبايعة الرســول صادقا مفضلا ذلك على "ظل بارد وطعام ومهيــأ وامرأة حسناء(وهو) فى حال مقيم" [192].

و- وتحقق قوله لعمر فى سهيل بن عمرو: "إنه عســى أن يقوم مقاما لا تذمه"؛ وهوما تحقق عنــد وفــاة الرسول بخطبة عمروفى أهل مكة حين هم أكثرهم بالرجوع عن الإسلام؛ فموقفه وقوله: "'ن ذلك لــم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا بــه، وظهــر عتــاب بــن أسيد" [193].

---

[192] - ابن هشام// السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربيــة، مــج٤، ص١١٨

[193] - ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحياء الكتــب العربيــة، مــج٤، ص٢٢٦، ٢٢٧

ز- إسلام عمر بعد دعاء النبى"اللهم أيد الإسلام بـأبى الحكم بن هشام أوبعمر بن الخطاب" بيوم واحـد- وسائر الخبر فى بيت ختنه سغيد بن زيد بمحضـر أخته فاطمة بنت الخطاب وخباب بن الأرت- إلـى جبذ الرسول له لدى باب دار الأرقم بن أبى الأرقم.

ح- وقوله ﷺ ك "ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوا ما أرى أن تنتهى حتى ينزل ا بك قارعة فقال عمر، وكان جاء متوشحا سيفه – لدرجة أن حمزة كـان مستعدا لمنازلته - يا رسول ا جئتك لأومن با وبرسوله وبما جاء من عند ا " ح ومن ثم "كبـر رسول ا .. تكبيرة عرف أهل البيت من أصـحاب رسول ا .. أن عمر قد أسلم"[١٩٤].

ط- وانطباع عمر بسورة طه فى ورقة خباب وبالدماء التى نزلت من أخته لضربه إياها.. بعـد تحمـيس نعيم بن عبد ا لعمر فى هذا الأمر: كل ذلـك لا

---

١٩٤ - ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، مج١، ص ٢٥٤، ٢٥٥

يقال من قيمة القدرة التنبؤية للرسول[195].

ي- هذا إلى نص القرآن نفسه الذى يثبت إعجازه دواما بالدرس النصى المباشر حتى مع الاسـتغناء عـن الخبر التاريخى[196].

---

195 - ابن هشام/ السيرة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، مج١، ص ٢٥٤، ٢٥٥

196 - عبد الحكيم العبد/ فى محاولات تقديم القرآن وترجمتـه والـرد عليها: عرض وتقييم وتقويم، يناير ٢٠٠٥م – ذوالقعدة ١٤٢٥هـ ٠الفصل الثالث مثلا: الحروف الفواتح وسد منافذ الطعن فى القرآن الكريم) ص ٦٧ – ١٠٧؛ والملحق رقم ٢، ٠الحـروف الفـواتح بالإنجليزية) ص ١٤٢ - ١٥٩

واصل بن عطاء والاعتزال

- يعد واصل بن عطـاء الغـزال(٨١ – ١٣٢) **إمـام المعتزلة** ومؤسس ذهبهم في العدل والتوحيد.
- ولد بالمدينة وهاجر إلى البصرة، حيث انتظم فى حلقة الحسن البصرى(الزاهد). اتصل بجهم بـن صـفوان وبشار بن برد وغيرهما:
  - جهم مرجئ ناف للصفات الأربع. جبرى فى نفـس الوقت.
  - وبشار. اجتمعت فيه أطـراف شـذوذ العبقريـة الشعرية فى عصره، وهـورأس المجـددين مـن الشعراء، وأعده علمانيا بلغة عصرنا.
  - عمرووواصل معتزليان
  - - صالح وعبد الكريم بن أبى العوجاء(تنويان)
  - وجرير بن حازم(سمني)
- والحق عند واصل بن عطاء يعرف من وجوه أربعة: كتاب ناطق – وخبر مجمع عليه – وحجـة عقـل – وإجماع الأمة.
- سمى معتزليا لمجانبته تقصير المرجئة، وغلوالخوارج؛

ومع ذلك؛ ومع مؤلفاته وجهوده العظيمة فى التـأليف فى أصناف الملحدبن وطبقات الخوارج وغلاة الشيعة، والآخذين بمذهب الحشوية.؛ ومع كل ذلك التبس على واصل الأمر فى ناحية من معنى التوحيدوالشـرك؛ إذ لما حسب الصفات مباينة للذات خشـى أن يصـف ا تعالى بصفات خلقه[1].

ويبدولنا أن هذا عدوي غنوصية لكونها كانت شـغل الموحدين القدماء الشاغل (فى حـوض المتوسـط)، حيـث توهموا الخلق والاتصاف ينافيان التقحيد؛ ومن ثـم جعلـوا التوحيد فى زعمهم منزها – حتى عن الفعـل والإرادة كمـا تبين فى قسم الغنوصية فى الفصل الأول[197].

---

[1] ينظر واصل:اسمه وعلاقته بعمروبن عبيد؛ وتصـانيفه وتـاريخى مولده ووفاته \ بالفهرست لابن النديم، ط ١٣٤٨ه، ه ص ١

[197] - عبد الحكيم العبد/ علم الكلام فى الإسلام، ط٢ معـدة، ص٤٧-٤٩

عبد الحميد الكاتب ١٣٢ هـ)

عبد الحميد بن يحيى بن سعيد

- من موالى بنى عامر بن لؤى صهر الكاتب عبد ا بن سالم مولى هشام بن عبد الملك الذى كـان ديوانـه مدرسة ارتقت بالنثر فى عهد بنى أمية.
- يركز المستشرقون ومن إليهم على أصـله الفارسـى لمجرد حرمان انتمائه الإسلامى مـن فضـل نبوغـه وشهرته. لم يسلم من هذه الشبهة حتى المرحوم طـه حسين نفسه؛ مع ما بلغ إليه التأليف العلمى المعاصـر من قدرة على التـزام الموضـوعية وحسـاب كـل عوامال النبوغ الإسلامية والإنسانية بسائر مكوناتهـا؛ وهى فى حالة العربى أوالفارسى أوالكردى وما أشبه من رعايا الدولة الإسلامية فـى ازدهارهـا عوامـل مشتركة جوهر قيمتها "لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى" ومنظومة راعة من هذه المعانى منها تسـمية التابع من العرق المختلف مولى؛ وتعنى معجميا السيد؛ مما تخلف عنه عصرنا الحديث نفسه كما هومشاهد.

- كتب عبد الحميد إذاً فى ديوان هشام بن عبد الملك كما كتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بنـى أميـة وقتـل وظلمت كتاباته معه لعهد العباسيين؛ وهـم مـن هـم استعانة بالفرس وبالنسبة لبنى العباس بن عبد المطلب؛ فظهر أن السياسة لا تعفى من الجور عرقا دون عرق.
- وثق ضيف إخلاص عبد الحميد لدولته الجديدة حتـى مقتله مع مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين(١٢٧ – ١٣٢هـ) وذلك فى معركة بوصر بمصر.
- كان عبد الحميد كاتب مروان هذا منذ كـان الأخيـر واليا على أرمينية وهونفسه متخرج فى مدرسة الكتاب الديوانيين فى خلافة هشام بـن عبـد الملـك(١٠٥ – ١٢٤هـ) وبعمادة سالم مولاه[١٩٨].
- وسالم أحد بلغاء عشرة فى العربيـة وكـان يعـرف اليونانيةأسوة بصالح بن عبد الرحمن رأس مدرسـة ديوان الحجاج بن يوسف الذى أمره بتعريـب ديـوان العراق عن الفارسية فى عهد الخليفة عبد الملـك بـن

---

١٩٨ - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى/ العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٧٠

مروان، الذى أمر الحجاج بذلك، كما أمر كاتب ديوانه سليمان بن سعد الخشنى أن يترجم ديوان الشـام عـن الرومية.

والدواوين وإن من النظم الأجنبيـة إلا أنهـا كانـت معروفة ولوبشكل أبسط منذ عهد النبى صلى ا عليه وسلم؛ وكانت دائما مدارس للحنكة اللغوية والدقة التقنيـة وللـذوق العربى المصقول.

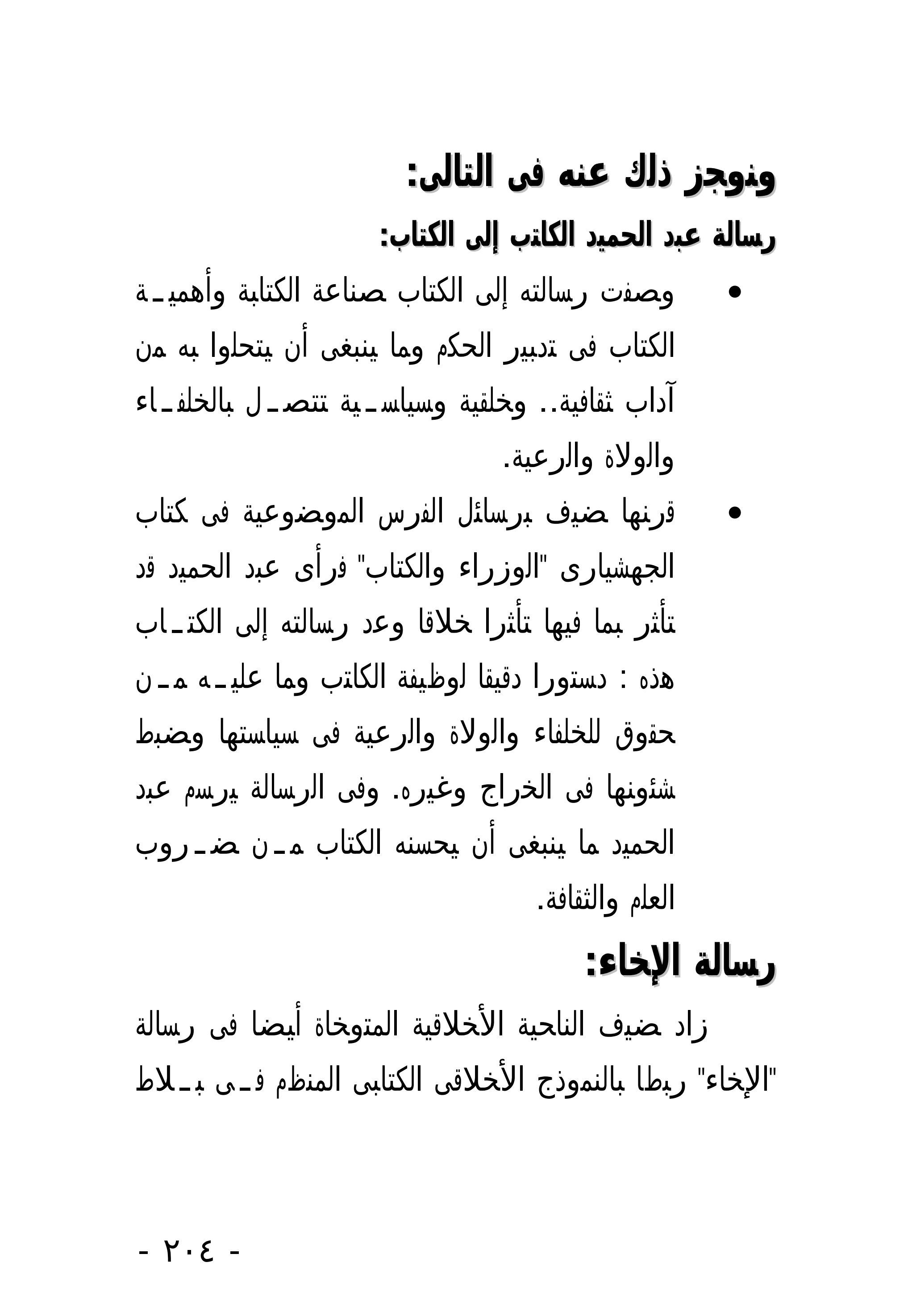
- أوما ضيف إلى ضياع جهد عبد الحميد الكتابى سـدى آخر العهد الأموى حين هجمت جيـوش أبـى مسـلم الخراسانى على دمشق عاصمة الأمويين؛ بيد أنـه رآه أبلغ كتاب العصر وأبرعهم بما تشبع بـه مـن ثقافـة إسلامية وجاهلية وفارسية. وهويومئ إلى تحول الكتابة على يديه إلى تأليف مفصل فى موضوعات هامـة : اجتماعية وسياسية وفنية وعسكرية أواقتصادية محددة مع الاحتفاظ بالفصاحة والروعة التعبيرية.
- قال ضيف : "سماه الجاحظ عبد الحميد ا؟لأكبر ونصح الكتاب أن يحتذوا كتابته"..(قال:) ضرب بـه المثـل فقيل: " فتحت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد".

وعنه؟أخذ المترسلون فى نقل ضيف عن ابن النـديم، ولطريقته لزموا وهوالذى سهل البلاغة فى الترسـل. ووصف كتابته بأنها أدبية بالمعنى الدقيق لهذا؛ وعد له فضل وضع التحميدات فـى فصـول الكتـب تـأثرا بتحميدات واصل بن عطاء وغيره من الوعاظ البلغاء (من ألانوا اللغة للتعبير الفلسفى).

ولعلى أذكر بالريادة الأولىفى ذلك للقرآن الكريم مـن قبيل أول الفاتحة؛ فضلا عن خطابة الرسول صلى ا عليـه وسلم، التى بين ضيف نفسه عظم أثرها فى النثر كله.

وقد فرغ ضيف للتعريف ببعض رسائلة، وهى:

- رسالته إلى الكتاب.
- رسالة الإخاء.
- رسالته إلى ولى العهد.
- كما ناقش زعم الأثر اليونانىفى كتابته.
- وختم بمقتطف من رسالته فى تعزيـة أهلـه عـن نفسه.



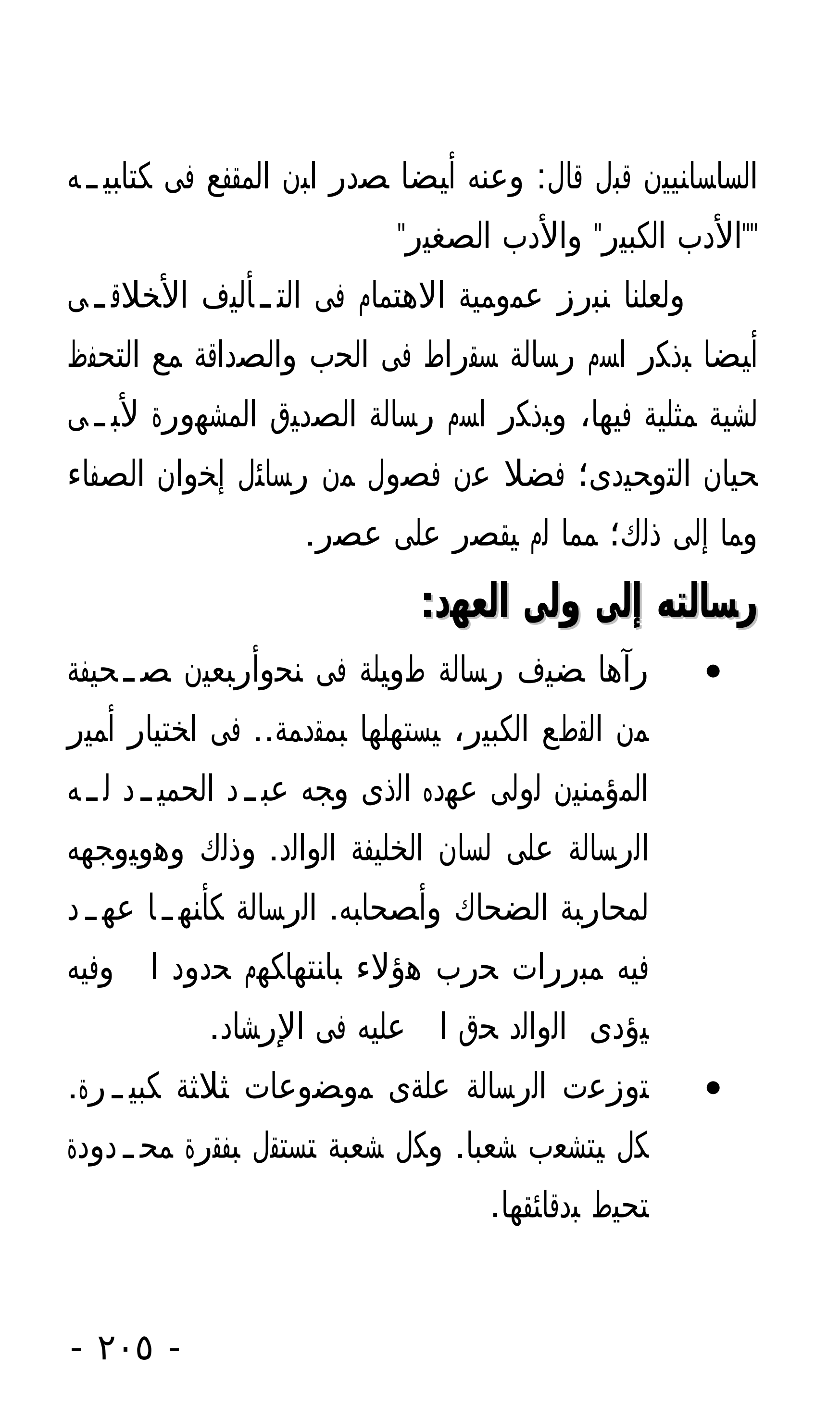
ونوجز ذلك عنه فى التالى:

رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب:

- وصفت رسالته إلى الكتاب صناعة الكتابة وأهمية الكتاب فى تدبير الحكم وما ينبغى أن يتحلوا به من آداب ثقافية.. وخلقية وسياسية تتصل بالخلفاء والولاة والرعية.
- قرنها ضيف برسائل الفرس الموضوعية فى كتاب الجهشيارى "الوزراء والكتاب" فرأى عبد الحميد قد تأثر بما فيها تأثرا خلاقا وعد رسالته إلى الكتاب هذه : دستورا دقيقا لوظيفة الكاتب وما عليه من حقوق للخلفاء والولاة والرعية فى سياستها وضبط شئونها فى الخراج وغيره. وفى الرسالة يرسم عبد الحميد ما ينبغى أن يحسنه الكتاب من ضروب العلم والثقافة.

رسالة الإخاء:

زاد ضيف الناحية الأخلاقية المتوخاة أيضا فى رسالة "الإخاء" ربطا بالنموذج الأخلاقى الكتابى المنظم فى بلاط


الساسانيين قبل قال: وعنه أيضا صدر ابن المقفع فى كتابيـه ""الأدب الكبير" والأدب الصغير"

ولعلنا نبرز عمومية الاهتمام فى التـأليف الأخلاقـى أيضا بذكر اسم رسالة سقراط فى الحب والصداقة مع التحفظ لشية مثلية فيها، وبذكر اسم رسالة الصديق المشهورة لأبـى حيان التوحيدى؛ فضلا عن فصول من رسائل إخوان الصفاء وما إلى ذلك؛ مما لم يقصر على عصر.

رسالته إلى ولى العهد:

- رآها ضيف رسالة طويلة فى نحوأربعين صـحيفة من القطع الكبير، يستهلها بمقدمة.. فى اختيار أمير المؤمنين لولى عهده الذى وجه عبـد الحميـد لـه الرسالة على لسان الخليفة الوالد. وذلك وهويوجهه لمحاربة الضحاك وأصحابه. الرسالة كأنهـا عهـد فيه مبررات حرب هؤلاء بانتهاكهم حدود ا وفيه يؤدى الوالد حق ا عليه فى الإرشاد.
- توزعت الرسالة علةى موضوعات ثلاثة كبيـرة. كل يتشعب شعبا. وكل شعبة تستقل بفقرة محـدودة تحيط بدقائقها.

- أول الموضوعات: آداب قائد الجيش
- ثانيها: سياسته فى لقاء العدووفى عيونه عليه وفـى خصال رؤساء الجند
- وثالثها: فى نظام الجيش فى الحرب: ميمنة وميسرة وساقة ووحدات : كل وحدة مائة رجل عليهم قائد ذومروءة ونجدة.. فضلا عما تضمنه هذا الجـزء مما يجب أن يتحلى به خازن أمواله وكيف يفسـد القائد رجال العدوعليه بمكاتبتهم ووعدهم بالمنالات والولايات.

هذا إلى اطراد نغمة النصح النصوح بالتقوى والاعتماد على ا إلى أن يختم الرسالة بالدعاء.

رآها ضيف دستورا استعان فيه عبد الحميد بخلاصـة تجارب الفرس فى حروبهم وسياسة حكامهم؛ وشفعها بتعاليم الإسلام الزكية، واطرد له فيها أسلوبه العربى الشفاف المرن الذى لا يحجب شيئا من الفكرة؛ بل يوضحها فى جميع شعبها وأطرافها.

ورأى صياغتها لا تفترق عن صياغة الحسن البصرى وواصل بن عطاء وأضرابهما من الوعاظ الذين أفادوا اللغة ما ذكرنا : فهويزاوج فى ألفاظه.. ويرادف، موشيا كلامه بالصور والطباقات والمقابلات: توضيحا للمعانى وتثبيتا فى النفس؛ كما رآه فيما ينبغى لأسلحة الجيش وخيله كأنه نثر أشعار امرئ القيس وأوس بن حجر وغيرهما.

الأمر الذى فعله فى رسالته الأخرى فى الصيد؛ إذ وصف جوارحه ومعاركه مع الظباء والآرام وحمر الوحش فى بعض الغدران والرياض والأمطار؛ وكأنه يتحدث بلسان امرئ القيس وزهير ومن على شاكلتهما من الشعراء الجاهليين.

دعوى الأثر اليونانى فى عبد الحميد

- مر أن تأثر عبد الحميد – قرن رسالة عبد الحميد إلى الكتاب برسائل الفرس الموضوعية فى كتاب الجهشيارى "الوزراء والكتاب" فرأى عبد الحميد قد تأثر بما فيها تأثرا خلاقا.

- وهنا رد ضيف دعوى طه حسـين الـذى تعلـل بتفاصيل نظام الجيشواستخدام الحال فى عبـارات لعبد الحميد؛ إذ معرفة المسلمين بـنظم الجيـوش الأجنبية سابقة؛ وإن كانت عند عبد الحميـد فهـى بطريقة غير مباشرة.
- كذا رد شبهة التأثر فى استخدام أسلوب الحال فـى تعبيره؛ إذ هوخاصة عربية عرفت فـى أسـاليب الجاهليين وفى القرآن الكريم وفى أسـاليب كتـاب الدواوين قبل عبد الحميد. والأثر الفارسى فى عبـد الحميد أوضح من اليونانى. وقد مر توصيفه لهـذا التأثر الخلاق.
- هذا إلى ما ذكره ضيف من أثر الشعراء الجاهليين الواضح فى وصف عبد الحميـد أيضـا لأسـلحة الجيش ومعارك الصيد[199].

---

[199] - شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى/ العصـر الإسـلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٧٧، ٤٧٨

في رسالته في تعزيته عن نفسه:

ختم ضيف بوقفة ومقتطف من رسالة عبد الحميد التى يعزى فيها أهله عن نفسه وهومنهزم مع مروان بن محمـد؛ ووصف أسلوبه فيها كما وصفه فى غيرها، ولفت النظر إلى أن حلاها البلاغية جزء من جوهر الكلام (غير مصـطنعة) "وأن عبد الحميد أوفى بالكتابة الأدبية فى العصـر الأمـوى على كل ما كان ينتظرها من رقى وإبداع فنى."[(٢٠٠)]

وهكذا ثبت رسوخ عبد الحميد فى اسلاميته العامة فى العربية الرصينة والانتماء الذى كلفه حياته القصيرة من أجل حياة أطول وأبقى.

[٢٠٠] شوقى ضيف/ تاريخ الأدب العربى/ العصر الإسلامى، دار المعارف، ط ١٦، ص ٤٧٩

عبد ا بن قيس الرقيات

شعره وحياته:

- شعره وحياته يصدقان قول زكـى مبـارك بـانطواء شعراء الغزل على مقومـات رجولـة وفعـل متـى استدعت الظروف.
- والرقيات: نسبة إلى رقية بنت عبد الواحد التى كـان هواه فيها. كان له أيضا شعرفى رقية أخرى هى ابنـة عم لها؛ وفى رقية ثالثة، وهى امرأة من بنى أمية[٢٠١].
- كان زبيرى الهوى[٢٠٢]، خرج مع مصعب بن الزبيـر على عبد الملك بن مروان، ونسبب شعر له فى فتـك عبد ا بن على ببنى أميـة (فـى مكـة)[٢٠٣] حتـى استردها الأمويون وقتلوا عبـد ا ضـاربين الكعبـة بالمجانيق. وسيلى دليل آخر على خطر شعره.

---

٢٠١ - الأصفهانى/ الأغانى، مج٥، ص٧٣، ٧٤

٢٠٢ - الأصفهانى/ الأغانى، مج٥، ص٧٦

٢٠٣ - الأصفهانى/ الأغانى، مج٥، ص٨٥

- اختفى مصعب من بنى أمية لدى امرأة بالكوفة تـدعى كثيرة، حتى أبرأ عبد الملك الذمة ممن وجدعنده. وقد مدح الأمويين بعد ذلك فى شعر ذكرها فيه ومنه:

عاد له من كثيرة الطرب

....

ما نقموا من بنى أمية إلا

أنهم يحلمون إن غضبوا

وأنهم سادة الملوك فما

تصلح إلا بهم عليهم العرب[٢٠٤]

شعره من الأصوات المائة:

اختير لهارون الرشيد بعد فى العصر العباسى الـنص التالى؛ وذلك ضمن الأصوات المائة المختـارة للغنـاء فـى عهده:

علـ ـل القـ ـوم يشـ ـربو كـ ـى يلـ ـذوا ويطربـ ـوا

إنمـ ـا ضـ ـال الفـ ـؤا د غـ ـ ـ ـزال مربـ ـ ـ ـ ـب

فرشـ ـته علـ ـى النمـ ـا رق سـ ـعدى وزينـ ـ ـب

٢٠٤ الأصفهانى/ الأغانى، مج٥، ص٨٢

حـــ ـال دون الهـــوى ودو ن سرى الليل مصعـب [205]
وســ ـياط علـ ـى أكــ ـف رجـ ـ ـ ـــال تغلـ ـ ـ ـــ ـب

- قال أبوالفرج: اللحن لمالك بن أبى السمح/ ثقيل أول بالسبابة فى مجـرى الوسـطى (والثقيـل الأول : نقرتان متساويتان ثم ثالثة ثقيلة فاصلة الدور)[206].
- قال: ولإسحاق: ثقيـل أول مطلـق فـى مجـرى البنصر.
- ولابن سريج: ثانى ثقيل فى مجرى الوسطى.

---

[205] مصعب هنا: الزهرى الفقيه / [205] الأصفهانى/ الأغـانى، مج٥، ص٧٢

[206] - عبد الحكيم العبد/ علم العروض الشعرى فى ضوء العـروض الموسيقى، ط غريب ٢٠٠٤م، ص ٥٣، ١٥٤ (جدولتنا للنقـرات العربية)

+ ورقتنا/ علم العروض والموسيقى مقاربة فى عنصر الإيقـاع، ص ٣

وتابنا/ / أبوالعلاء المعرى ونظرة جديدة إليـه، مـج٢، ص٨١، ٨٢، ١١٢.

- ولمعبد (فى ٢ وما بعده): خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى[٢٠٧].

والرشيد بعد هومن غضب؛إذ سمع قينة تغنى بشـعر مصعب فى مدح بنى أمية؛ مما أدى ‘اى امتناع القينة عـن الغناء[٢٠٨].

٢٠٧ - فى مؤلفنا المشار إليه وورقتنا: الثقيل الثانى: نقرتان متواليتان: الأولى أخف زمنا، ثم ثم ثالثة ثقيلة فاصلةالدور.

٢٠٨ الأصفهانى/ الأغانى، مج٥، ص٨٥

توبة وليلى الأخيلية

لعل عرضنا التالىلقصة توبة وليلى الأخيليـة يوقفنـا على الحكمة فى قصته ومذهبه جميعا. والمـذهب العذريـة أوالعفاف؛ إن كان يشمل الجميع لم يمنـع مـن أ ن لقصـته مسارات مختلفة على نحوما. وقد تبدوهذه مزيجا من قصص الشعراء العذريين الآخرين؛ إلا أنها كما فى بعض الروايات ربما تضيف جديداح إذ تنحومناحى بعـض شـعراء الفتـوة أحيانا والصعلكة أحيانا كما سيلى.

- ورد فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى الذى ينحدر من أصول أموية وعاش للتأليف فـى الأدب والغناء وما إلى ذلك فى العصر العباسى، قال:
- هى "ليلى بنت عبد ا بن الرحال (بكسر الـراء).. من النساء المتقدمات فـى الشـعر. مـن شـعراء الإسلام".
- وهو"توبة بن الحمير بن حزم..". كان يتعشق ليلى بنت عبد اله الرحال، ويقول فيها الشـعر فخطبهـا

إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها فـى بنـى الأدلع"[٢٠٩].

- "وكان توبة.. إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه فى برقع، فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان فأبـاحهم دمه إن أتاهم فكمنوا له فى الموضـع الـذى كـان يلقاها فيه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلـم أنه رصد، وأنها سفرت لذلك تحذره فركض فرسه فنجا، وذلك قوله:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت

فقد رابنى منها الغداة سفورها

- كانت من أحسن الناس وجها وزوجها رجل غيـور فهويعزب بها عن الناس.. مر توبـة فنظـر إلـى خبائها ولم يقربه إذ أناخ بالموضـع حـين غابـت الشمسولم تكلمه فقال لها زوجها: (بعد تفصيل فـى الرواية): كذبتِ؛ ما هوإلا بعض خلانـك ونهـض يضربها وهى تناشده.

---

[٢٠٩] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمـال، بيـروت، مـج١١، ص٢٠٤

- قال الأصفهانى: قال توبة: فسمعته يقول: وا ما أترك ضربك حتى يأتى ضيفك هذا فيغيثك؛ فلما عيل صبرها قالت: يا صاحب البعير يارجل، فأخذ الصحمى (يعنى توبة) هراوته ثم أقبل يحضِر·يعدو) حتى أتاها وهو(زوجها) يضربها؛ فضربه ثلاث ضربات أوأربعا.
- ثم أدركته المرأة فقالت: يا عبد ا ، ما لك ولنا؟ نح عنا نفسكفانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وهويظن أنه قد قتل الرجل [210].
- وتحدث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يدر من هو. فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغنى بشعر يدل فيه على نفسه، وقال:

ألا يا ليلَ أخت بنى عقيل

أنا الصحمى إن لم تعرفينى

---

[210] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مج١١، ص٢٠٦[210]

دعتنى دعوة فحجزت عنها

بصكات رفعت بها يمينى

فإن تك غيرة أبرئت منها

وإن تك قد جننت فذا فذا جنونى

سؤال الحجاج لها فى توبة:

ومن رواية الأصفهانى عن الحسن بن على معنعنا عن رجل يقال له ورقاء: سمعت الحجاج يقول لليلى الأخيلية: إن شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة؛ فأقسم عليـك إلا صدقتنى : هل كان بينكما ريبة قط أوخاطبك فى ذلك قـط، فقالت: لا وا أيها الأمير إلا أنه قال لى ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت:

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها

فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه

وأنت لأخرى فارغ وحليل[٢١١]

---

[٢١١] - يحاللها: يكون معها فى محل / الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مج١١، ص ٢٠٧

فلا وا   ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فـرق بيننـا الموت.[212].

ولم يكن الأصفهانى ليدع ذكر شعر توبة المغنى فـى عصره وهو:

حمامة بطن الواديين ترنمى

سقاك من الغر الغوادى مطيرها

أبينى لنا لا زال ريشك ناعما

ولا زلت فى خضراء دان بريرها [213]

وأشرف بالفوز اليفاع لعلنى

أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت

فقد رابنى منها الغداة سفورها

على دماء البدن إن كان بعلها

يرى لى ذنبا غير أنى أزورها

وأنى إذا ما زرتها قلت يا اسلمى

---

[212] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٠٨

[213] : ثمر الأراك

وما كان فى قولى اسلمى ما يضيرها وغيرنى ،ن كنت لما تغيرى

هواجر تكتنينها وأسيرها [٢١٤]

وأدماء من سر المهارى كأنها

مهاة صوار [٢١٥]غير ما مس كورها

قطعت بها أجواز كل تنوفة

مخوف رداها كلما استن مورها [٢١٦]

ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم

دعاميص ماء نش عنها غديرها[٢١٧]

- قال أبوالفرج: غناه فليح بن العوراء فى الأربعـة الأول (ثانى ثقيل بـالبنص، والهـذلى(ثقـيلا أول بالنصر" وغير ذلك[٢١٨].

---

[٢١٤] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٠٩

[٢١٥] : بقرة وحشية من قطيع

[٢١٦] - تنوفة: صحراء بلا ماء. استن مورها: ثار ترابها

[٢١٧] - دعاميصك دود أسود – نش: نضب

[٢١٨] - كما مر: الثقيل الأول:نقرتان متساويتان ثم ثالثة ثقيلـة فاصـلة الدور

- وحتى معاوية نفسه لم تُخْلِـه هـذه القصصـيات الرومنسية إذا جاز التعبير من وقفة مع ليلى [219]؛ وكذا عبد الملك بـن مـروان ك عمـا رآه توبـة فيها.[220].

- غير أن مما له وجه أوضح من الدلالة : قصة لوفـود ليلى الأخيلية تظهر فطنتها للبلاغة وقصة تؤكد هـذه البلاغة لدى مجىء لها فى طلب العون من الحجاج :

والثقيل الثانى: نقرتان متواليتان: الأولى أخف زمنـا،ثم ثالثـة ثقيلـة فاصلةالدور

/ عبد الحكيم العبد/ علم العروض الشـعرى فـى ضـوء العـروض الموسيقى، ط غريب ٢٠٠٤م، ص ٥٣، ١٥٤ (جدولتنا للنقـرات العربية)

+ ورقتنا/ علم العروض والموسيقى مقاربة فى عنصر الإيقـاع، ص ٣

وتابنا/ / أبوالعلاء المعرى ونظرة جديدة إليـه، مـج٢، ص٨١، ٨٢، ١١٢.[218]

[219] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٣٧ - ٢٣٩

[220] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٤٠

- الأولى: لما قالت ليلى الأخيلية فى الحجاج الـوالى المستبد فى العراق فى التاريخ الأموى:

فما ولد الأبكار والعون مثله

ببحر ولا أرض يجف ثراها[3] .

بمعنى أن النسوة لم يلدن مثله : المتزوجات وهن أبكار والمتزوجات للمرة الثانية؛ ولكنه فى هذا المعنى جاء خطابيا فخما جزلا :لفظا ووزنا، دالا على بلاغة ولَسن فـى هـذا الوزن العروضى المركب:

فعولٌ/مفاعيلن/فعولن/مفاعلن//فعولن/مفاعيلن/فعولٌ/مفاعلْ

كاشفا عن عبقرية يخشى أمرها السياسيون. ولذلك فإن الحجاج رغم إعجابه الشديد بالبيت مع إعجابه بنفسـه التـى يبدوفى أول الأمر أن البيت مدحها ، أراد أن يكسـب هـذا الصوت الأدبى الجهير فى صفه ويتقى تحوله إلى المعارضة أوالنقد بالهجاء، فقال:"قاتلها ا ! وا ما أصاب صفتى شاعر مذ دخلت العراق غيرها؛ ثم قال: يا غلام، اذهب إلى فـلان

---

[3] كتاب العربية: نظام البنية الصرفية، ط٢، مسقط،١٤٠٩/١٤١٠هـ - ١٩٨٩/١٩٩٠م، ص ١٥

فقل له: اقطع لسانها، فذهب بها فقال له: يقول لك الأمير: اقطع لسانها؛ قال : فأمر بإحضار الحجام، فالتفتت إليه فقالت: ثكلتك أمك! أما سمعت ما قال، إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة؛ فبعث يستنبئه، فاستشاظ الحجاج غضبا، وهم بقطع لسانه..[٤].

- فى القصة الثانية أنالأصفهانى قال : أخبرنى الحسن(معنعنا إلى ورقاء نفسه):

"كنت عند الحجاج بن يوسف فدخل عليه الآذن فقال: امرأة تهدر كما يهدر البعير الناد[٢٢١]. قال أدخلها (فلما دخلت نسبها فانتسبت)

- ✓ قال: ما أتى بك يا ليلى؟
- ✓ قالت إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلَب البرد وشدة الجهد، وكنتَ لنا بعد ا الرد.
- ✓ قال: فأخبرينى عن الأرض

---

[٤] كتاب العربية: نظام البنية الصرفية، نفسه ص١٦(عن الأمالى لأبى على القالى،٨٦/١

[٢٢١] : الشارد

- ✓ قالت: الأرض مفشعرة والِفجاج مغبرة وذوالغنـى مختل وذو الحد منفل
- ✓ قال: وما سبب ذلك؟[222]
- ✓ قالت: أصابتنا سنون مجحفة مظلمة مظلمة، لم تدع لنا فصيلا ولا ربعا ولم تبق عافطة ولا نافطة[223] ح فقد أهلكت الرجال ومزقـت العيـال وأفسـدت الأموال، ثم أنشدته [224].

وفاتها وكيف كانت (روايتان مختلفتان):

قبل الأصفهانى، وهومعروف بجـده فـى التحقيـق : رواية الحسن معنعنة إلى ابن الخصـيب الكاتـب: أن ليلـى الأخيلية أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهى فى هودج لها فقالت: وا لا أبرح حتى أسلم علـى توبـة؛ فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلم به فلما كثـر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة، فقالت: السلام

---

[222] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٤٠

[223] : ضائنة ولا ماعزة

[224] الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مج١١، ص ٢٤١

عليك يا توبة، ثم حولت وجهها إلى القوم، فقالت: ما عرفت له كذبة قط قبل هذه ح قالوا كيف؟. قالت: أليس القائل:

ولوأن ليلى الأخيلية سلمت

على ودونى تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا

إليها صدى من جانب القبر صائح

وأغبط من ليلى بما لا أناله

ألا كل ما قرت به العين صالح

"وكانـــت إلـــى جانـــب القبـــر بومـــة فلمـــا رأت الهودجواضطرابه فزعت وطارت فى وجه الجمل فنفر فرمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها فدفنت إلى جنبه- وهـذا هوالصحيح فى خبر وفاتها" [٢٢٥].

القيمة الفنية والجدوى اللغوية التعليمية فى كـل هـذا؛ وللتفسيرات الاجتماعية والتحليلية النفسية مجال رحب للعمل والكشف عن دوافع كل هذا حتى ولوكانت مثاليـة صـرفة أوتعويضية خالصة؛ إذ ترد فيه أخبار تجعلـه أقـرب إلـى

---

[٢٢٥] - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٤٤

الشعراء الصعاليك؛ فقد أورد الأصفهانى أيضا أن أبا عبيـدة قال:

"كان توبة شريرا كثير الغارة على بنى الحـارث بـن كعب وخثعم وهمدان، فكان يزور نساء منهن يتحدث إليهن، وقال:

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر

غرائر من همدان بيضا نحورها؟

وروى أيضا أنه: "كان توبة ربما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم، وبين بلاد مهرة وبلاد بنى عقيل مفازة منكرة، لا يقطعها الطير، وكان يحمل مزاد الماء فيدفن منـه علـى مسيرة كل يوم مزادة ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركـب بهـم المفازة؛ وإنما كان يتعمد حمارةَ القيظ وشدة الحر؛ فإذا ركب المفازة رجعوا عنه"[٢٢٦].

وأبيات توبة فى نجدة ليلى وهى تضرب تسمه بالفتوة؛ أما أبيات توبة الهائية الواردة قبل فتـذكر بوصـف بعـض الشعراء الصعاليك لعيشه بالصحراء المهلكة؛ خاصة البيت :

---

٢٢٦ - الأصفهانى/ الأغانى، ط مؤسسة جمال، بيروت، مـج١١، ص ٢٤٥

قطعت بها أجواز كل تنوفة

مخوف رداها كلما استن مورها

فهوكبيت تأبط شرا فى وصفه للشنفرى :

يبيت بموماة ويمسى بغيرها

وحيدا ويعرورى ظهور المهالك

ولفتته إلى الأخيلية فى قوله:

وغيرنى إن كنت لما تغيرى　　　هواجر تكتنينها وأسيرها

كلفتة عنترة – وهوكالصعاليك من أغربـة العـرب – لنسلهم من أمهات حاميات (من الحبشة أوالهند)[٢٢٧]. وذلـك فى قوله فى معلقته:

تمسى وتصبح فوق ظهر حشية

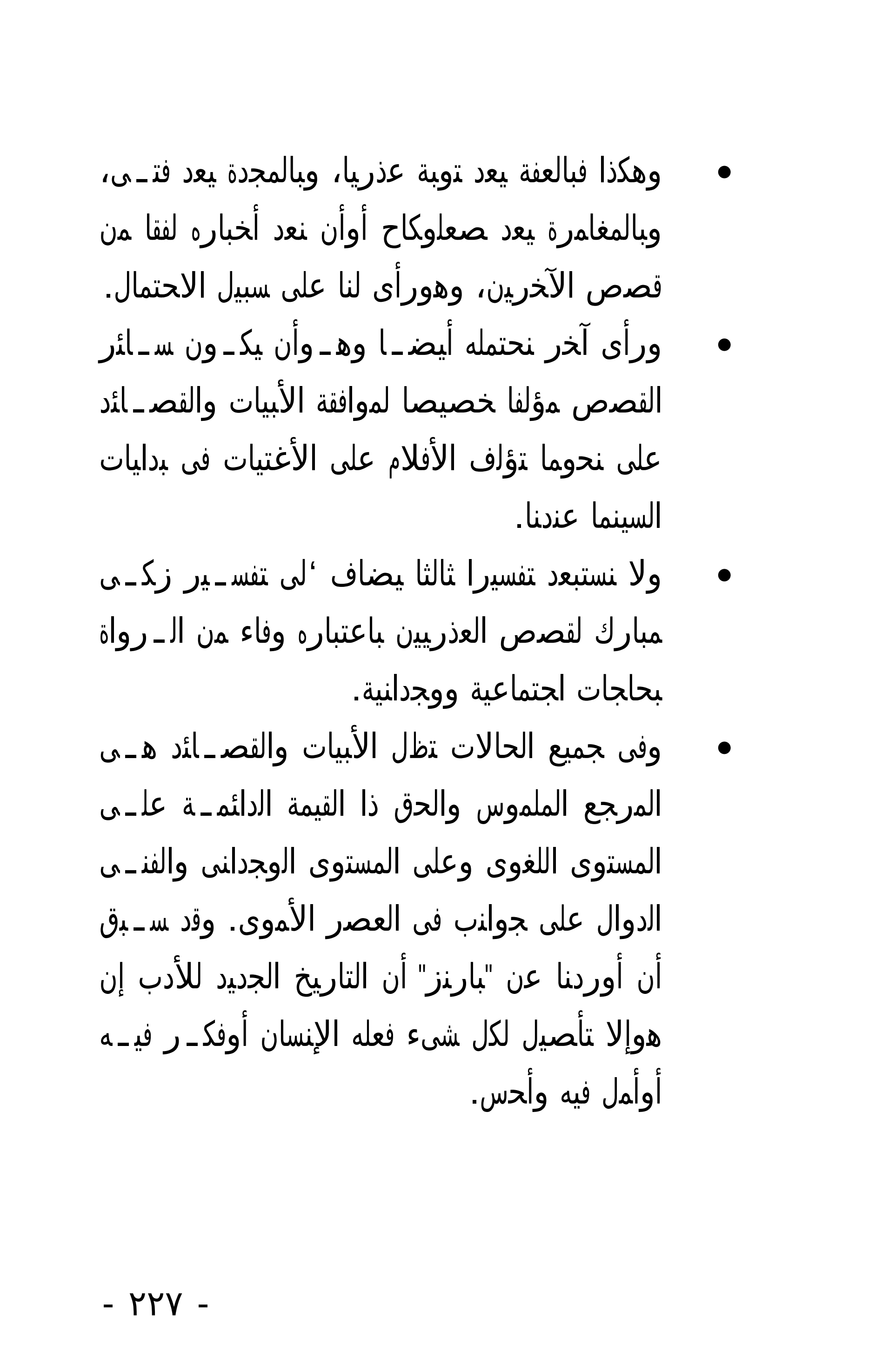
وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

وحشيتى سرج على عبل الشوى

نهد مراكله نبيل المحزم

---

[٢٢٧] - الشنفرى/ لامية العرب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيـروت، ص ١٩



- وهكذا فبالعفة يعد توبة عذريا، وبالمجدة يعد فتـى، وبالمغامرة يعد صعلوكاح أوأن نعد أخباره لفقا من قصص الآخرين، وهورأى لنا على سبيل الاحتمال.
- ورأى آخر نحتمله أيضـا وهـوأن يكـون سـائر القصص مؤلفا خصيصا لموافقة الأبيات والقصـائد على نحوما تؤلف الأفلام على الأغنيات فى بدايات السينما عندنا.
- ولا نستبعد تفسيرا ثالثا يضاف ‘لى تفسـير زكـى مبارك لقصص العذريين باعتباره وفاء من الـرواة بحاجات اجتماعية ووجدانية.
- وفى جميع الحالات تظل الأبيات والقصـائد هـى المرجع الملموس والحق ذا القيمة الدائمـة علـى المستوى اللغوى وعلى المستوى الوجدانى والفنـى الدوال على جوانب فى العصر الأموى. وقد سـبق أن أوردنا عن "بارنز" أن التاريخ الجديد للأدب إن هوإلا تأصيل لكل شىء فعله الإنسان أوفكـر فيـه أوأمل فيه وأحس.

الملحق

الجدول الجاهلى فى الإســـلام	الجدول الإسلامى بالمعنى الدينى الأولى (القرآن الكريم وحديث الرسول.. وسيرته)			الجدول المحلى (المتاح والمترجم تقنى ونظرى محدود)	الرواة المدونون (الرواة الأعلام)	المغنون فى المدينة ومكة فى العصر الأموى		
عبيد بن شرية راوية الأخبار اليمنية	شعبة تاريخية	شعبة دينية	وطبقة من المعلمين العامين.	مجادلات العرب مع يوحنا الدمشقى الذى كان يشرف على الشئون المالية لغير خليفة أموى وله مصنفات مختلفة منها محاورة مع بعض المسلمين فى ألوهية المسيح ونظرية حرية الإرادة.	1) أبوعمروالشيبانى (١٢٣هـ) ١	فى المدينة	فى مكة	فى الطائف وما حولها
دغفل بن حنظلة النسابة	أبان بن عثمان بن عثمان وعروة بن الزبير فى اهتمامهما بمغازى الرسول	بمكة تلاميذ ابن عباس وعلى رأسهم عطاء وعكرمة	عبد الصمد بن عبد الأعلى لأبناء الخاصة	كون يزيد بن معاوية أول من ترجمت له كتب النجوم والطب والكيمياء وله كتب ذكرها ابن النديم.	امتداده فى العصر العباسى	نشيط الفارسى	ابن مسجح	صدى وامتداد
والنخار بن أوس العذرى	من عنوا بجمع أخبار أهل الكتب السماوية	وبالمدينة سالم بن عبد ا	الحجاج الثقفى	- استعانة خالد بن يزيد بن معاوية براهب رومى يسمى		طويس	ابن محرز	

	مثل وهب بن منبه	بن عمر بن الخطاب ومولاه نافع وعبيد ا بن عبد ا بن عتبة وعروة بن أذينة والزهرى	والحجاج ابنه بالطائف	ماريانس ليعلمه الكيمياء، وكذا بأصطفن القديم.				
وزيد بن الكيس النمرى		وباليمن طاووس	الكميت بن زيد للصبية بالكوفة	من كتب خالد بن يزيد: كتاب الحرارات وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير وكتاب وصيته فى الصنعة.		سائب خاسر	ابن سريج	
وشهاب بن مذعور		وبالكوفة تلاميذ ابن مسعود وعلى رأسهم الشعبى وسعيد بن	عطاء بن أبى رباح للصبية بمكة	أن عمر بن عبد العزيز أمر ماسرجويه بنقل كتاب القس أهرون فى الطب، وهومذكور فى شعر الحكم بن عبدل الكوفى.		معبد	الأبجر	

		وبالشام شهر بن حوشب ومكحول والأوزاعي		فضلا عما أرسله الفاخورى من أن "أكثر الأطباء الذين كانوا فى قصور بنى أمية أكابر أثال النصرانى طبيب معاوية وماسرجويه اليهودى الذى عاش فى زمن عمر بن عبد العزيز"		يونس الكاتب		
وبنى الكواء وغيرهم		وبالبصرة ابن سيرين والحسن البصرى	الضحاك بن مزاحم للصبية فى خراسان	أن سالما مولى هشام بن عبد الملك ترجم بعض رسائل لأرسطاليس (لعله من اليونانية).		ابن عائشة	الهذلى	
		وقتادة وإياس بن معاوية [illegible]				عزة الميلاء	سمية	
		وبخراسان	الطرماح.	أن سالما نقل لهشام كتابا عن		جميلة	بغوم	
		الضحاك بن مزاحم	فى الرى	الفارسية يتحدث عن الدولة الساسانية ونظمها السياسية		سلامة القس	أسماء	
				وأن الرواة رووا أن ثياذوق		حبابة		
				طبيب الحجاج نظم فى علم الصحة قصيدة تناقلها الناس إلى عصر بن سينا.		سلامة الزرقاء		